



دَعْوَةُ الْحَقِّ

رابطة العالم الإسلامي
الإدارة العامة للإعلام والثقافة
إدارة الثقافة والنشر

حادثة الإفك ودلالاتها الفقهية والأصولية

قال الله تعالى :

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

[سورة النور: آية ١١]

د. هاني أحمد عبدالرحمن عبدالشكور

رابطة العالم الإسلامي
الإدارة العامة للإعلام والثقافة
إدارة الثقافة والنشر
سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم

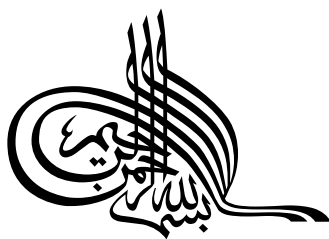
حادثۃ الإفك ودلالاتها الفقهية والأصولية

قال الله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

[سورة النور: آية ١١]

تأليف الدكتور:

هاني أحمد عبد الرحمن عبد الشكور



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله
أجمعين ، سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين . وبعد.

فلا يخفى على المشتغلين بالدراسات الشرعية أهمية السنة
النبوية في التشريع الإسلامي، فهي المصدر الثاني من مصادر
التشريع في الإسلام ، وهي التي تفسر آيات القرآن المجيد
وأحكامه في كثير من الأحيان: بتخصيص عمومه ، أو تقييد
مطلقه ، أو بيان مجمله ، إلى غير ذلك من مباحث دلالات الألفاظ
التي تكلم عنها علماء أصول الفقه.

فالقرآن الكريم والسنة المطهرة مصدران أساسيان للتشريع
الإسلامي يكمل بعضهما بعضا في بيان أحكام الدين وتوجيهاته.
والسيرة النبوية تعتبر جزءاً من السنة المطهرة تمثل التجسيد
العملي الواقعي الحي لها بأقواله وأفعاله وتقاريراته ﷺ.

ومن هنا اتجهت جهود كثير من علماء السنة والفقه والأصول
إلى دراسة السيرة والتأليف فيها طلباً للأجر والمثوبة من الله وتعبيراً
صادقاً عن حب النبي ﷺ وبياناً للأمة لما فيها من عبر وعظات
وتوجيهات ومثل وتشريع وأحكام.

وأمتنا اليوم في أمس الحاجة إلى العودة إلى سيرة النبي ﷺ من

جديد لدراسة أحداثها وسبر أغوارها، واستلهام العبر والعظات منها وأخذ الدروس والأحكام والتشريعات من أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ وفوق كل ذلك الاقتداء به في كل شئون الحياة .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

ومن أهم أحداث السيرة المطهرة التي كان لها أثر كبير في حياة النبي ﷺ بخصوصه وحياة المجتمع المسلم في ذلك الوقت بعمومه حادثة الإفك التي تعد من أعظم الابتلاءات التي ابتلي بها النبي ﷺ على مر تاريخ دعوته بل عدها بعض الباحثين^(١) أعظم الابتلاءات والمصائب التي مرت بالجناب النبوي عليه الصلاة والسلام.

ومن درس الحادثة وعاش أحداثها بنفس وقلب وعقل أشخاصها لم يستبعد القول بذلك والجزم به.

وهذه الحادثة رغم أهميتها وخطورتها في الوقت نفسه لم تلق ذلك الجانب الدراسي من قبل الباحثين في مجال السيرة غيرها من الأحداث ، حيث انصب أكثر جهود الباحثين إما في الكتابة بشكل عام في السيرة أو في غزوات النبي ﷺ ، وكم نحن بحاجة اليوم إلى تلك الدراسات المفصلة المتأنيّة التي تتناول الأحداث التي مرت بها حياة النبي ﷺ واستخراج الكنوز العظيمة التي حوتها وانطوت عليها.

(١) انظر : تفسير في ظلال القرآن ٢٥٠١ / ٤ .

وإذا كنا نعيش في عصر تنوعت فيه أنواع وصنوف الحروب، فإن أخطر هذه الأنواع التي تؤثر في الأمة بشكل عام وفي مجتمعاتها بشكل خاص ما يُسمى بالحروب النفسية أو بمعنى آخر الإشاعة، فأصبحنا نرى ونلمس أثر هذه الإشاعات على الدول والمجتمعات بل وعلى التاريخ والحضارة وفعلها الذي لا تساويه أفعال الجيوش الجرارة.

والإشاعات هي نوع من أنواع الكذب والافتراء، قد تكون كلمة يلقيها إنسان في وصف شخص بنسبته إلى مذهب أو فكر أو انتماء هو منه بريء، يدفعه في ذلك هوى نفس أو جهلٌ بدين الله أو ضعف إيمان، فتنتشر هذه الإشاعة وهذا الإفك، وتكون آثارها عظيمة ووخيمة، ولهذا قال النبي ﷺ: «إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ عَنْهُ الْمَلِكُ مِثْلًا مِنْ نَتْنٍ مَا جَاءَ بِهِ»^(١)، وتكون النتيجة «وإنَّ الْعَبْدَ لَيَسْكَلُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(٢)، هذا على الجانب الاجتماعي الخاص، فكيف بما هو أعم من ذلك على الجانب السياسي والدولي، لا شك أن الخطر أعظم وأشد.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ٣٤٨/٤ برقم (١٩٧٢)، وقال: «حديث جيد غريب»، والطبراني في الصغير ٩٨/٢ برقم (٨٥٣)، والديلمي في الفردوس ١٩٨/١ برقم (٧٤٦). وقال الألباني: حديث ضعيف جداً.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٨)، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان.

وحادثة الإفك كانت نوعاً من هذه الحروب التي واجهها النبي ﷺ وآل بيته الطاهرون والمجتمع المسلم ، ونجوا منها ، وردّ الله كيد الخائنين .

وتصدى القرآن الكريم لهذه الحرب ، ونزلت الآيات فيها تذكر وتعلم وتربي وتوجه وتبين الأحكام والتشريعات حتى انقلبت هذه الحرب النفسية من شر إلى خير عظيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١١]، ويرى بعض المفسرين أن هذه الآيات التي نزلت في حادثة الإفك وما اشتملت عليه من الأحكام والفوائد والمطالب والآداب لا تفي بها مجلدات^(١) .

وهذه الدراسة تحاول تناول جانب من جوانب الخير الذي وصفت الآية به هذه الحادثة، ببيان الآداب الاجتماعية، والمسائل الأصولية والفقهية التي خرجت بها الأمة من حادثة الإفك ، مع التسليم بأن الحادثة تحتاج إلى مزيد دراسات تربوية ونفسية وسياسية وصحية وغيرها خرجت بها الأمة من هذه الحادثة التي كانت خيراً عظيماً للمسلمين على مر الأزمان والدهور لثبوتها في القرآن المتلوّ ليل نهار على ألسنة الموحدين من عباد الله الصالحين .

(١) انظر : تفسير القاسمي ١٢ / ٤٤٦٨ .

وقد انتظم عقد هذه الدراسة في الخطة التالية:

المقدمة: وهي هذه.

التمهيد: وفيه بيان المعاني اللغوية لكلمتي حادثة وإفك، وبيان اشتغال معنى الإفك على جميع أنواع الكذب.

المبحث الأول: بين يدي حادثة الإفك ، حيث جاء فيه:

- عرض الحادثة من كتب السنة.

- بيان الآيات التي نزلت فيها.

- دراسة تحليلية لأسباب الحادثة من خلال استقرار النص.

المبحث الثاني: الآداب الاجتماعية التي أشارت إليها حادثة الإفك .

المبحث الثالث: المسائل الفقهية التي استنبطها الفقهاء من حادثة الإفك .

المبحث الرابع: المسائل الأصولية التي دلت عليها حادثة الإفك.

الخاتمة: وعرضت فيها النتائج التي خرجت بها من هذه الدراسة والتوصيات.

وبالبحث يعلم أن هذه الدراسة هي جهد المقل، ومكانة نبينا محمد ﷺ أعظم وأجل قدراً أن يحصيها مثله أو أن يدرس سيرته، ولعلها تكون بداية الطريق وإشارة البدء لغيره من الباحثين لدراسة حادثة الإفك بخاصة ، وأحداث السيرة النبوية بعامة.

نسأل الله القبول والإخلاص والتوفيق والسداد، وأن يجعل
هذه الدراسة عربون محبة وصدق وولاء لمقام نبينا محمد ﷺ
ليجمعنا به المولى سبحانه في آخرتنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين.

الباحث

د. هاني بن أحمد عبد الشكور

مكة المكرمة ١٩ / ٣ / ١٤٣١ هـ

التمهيد

أولاً : معنى كلمة حادثة.

الْحَدَثُ ، والحَدَثُ ، والحادثة ، والحداث ، كلها بمعنى ، كما قال الجوهري^(١) .

وَحَدَّثَ أَمْرٌ ، أي : وقع . والحديث نقيض القديم ، والحدوث نقيض القُدْمة ، والحدوث كون شيء لم يكن ، وأحدثه إليه فحدث ، ويطلق الحدث على الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة ، واستحدثت خبراً ، أي : وجدت خبراً جديداً^(٢) ، إلى غير ذلك مما ورد هذا المعنى .

والمراد بالحادثة هنا : هي الأمر الذي وقع ، كما تقدم .

ثانياً : معنى كلمة إفك .

مصدر أَفَكَ ، كضَرَبَ وعَلِمَ ، وإفك بالكسر والفتح والتحريك^(٣) ، والهمزة والفاء والكاف أصل واحد يدلّ على قلب الشيء وصرفه عن جهته ، يقال : أفك الشيء ، وأفك الرجل : إذا كذب^(٤) .

(١) الصحاح ، مادة (حدث) .

(٢) لسان العرب ، مادة (حدث) .

(٣) القاموس المحيط ، مادة (أفك) .

(٤) معجم مقاييس اللغة ، مادة (أفك) .

والإفك: الكذب، وكذلك الأفئكة، والجمع: الأفائك،
ورجل أفاك، أي: كذاب، والإفك في الأصل الكذب، وأريد به
هنا: ما كذب على عائشة رضي الله عنها مما رُميت به.
ويطلق الإفك على الصرف عن الشيء وقلبه، وعلى
الخداع^(١)، قال ابن كثير رحمه الله: «الإفك: أي: الكذب والبهت
والافتراء»^(٢).

ثالثاً: شمول معنى الإفك لجميع أنواع الكذب:

أصل كلمة (الإفك) لغة يرجع إلى الكذب كما سبق بيانه،
وارتباط كلمة الإفك في هذه الحادثة بموضوع قذف أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها لا يمنع عموم الآيات لكل ما من شأنه
انتقاص المسلم في دينه أو عرضه أو سلوكه، فإن الشريعة جاءت
بتحريم الاعتداء على المسلم وأذيته بأي شكل من الأشكال كما قال
تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا
اُكْتَسَبُوا فَقَدْ اَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٨]،
والإيذاء هنا هو: نسبتهم إلى شيء هم بريئون منه، وهو الإفك
لغة، فمجموع النصوص الشرعية الواردة في حرمة الوقوع في
أعراض المسلمين وأذيتهم يدخل فيها معنى الإفك ولا ينفك

(١) لسان العرب، مادة (افك) بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٨٣.

عنها ، مما يدلّ دلالة واضحة على عموم معنى كلمة الإفك الواردة في هذه الآيات لكل ما يؤذي المسلم ويشينه ، سواء كان في دينه أو عرضه أو أمانته أو سلوكه وهو منه برئ، وينال صاحبه الوعيد الوارد في هذه الآيات ، إضافة إلى الوعيد الذي جاء في النصوص الأخرى الواردة في هذا المعنى، وتأمّل التطابق الذي جاء في آيات الإفك مع آية الأحزاب المذكورة ، ففي آية الأحزاب قوله تعالى : ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٨]، وفي آيات الإفك: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٦]، وقوله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ [سورة النور: ١١].

قال القرطبي رحمه الله في بيان عموم الآية للمؤمنين والمؤمنات لجميع أنواع الأذى: «أذية المؤمنين والمؤمنات هي أيضاً بالأفعال والأقوال القبيحة ، كالبهتان ، والتكذيب الفاحش المختلق.. وقد قيل: إن من الأذية تعييره بحسب مذموم، أو حُرْفَة مذمومة، أو شيء يثقل عليه إذا سمعه؛ لأن أذاه في الجملة حرام»^(١).

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: «أي: ينسبون إليهم ما هم براء منه لم يعملوه ولم يفعلوه» ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا

(١) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٤٠ .

مُبِينًا ﴿١﴾، وهذا هو البهت الكبير، أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقّص لهم»^(١).

يقول العلامة الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله فيمن أولعوا بأذية المؤمنين من العلماء والدعاة والصالحين وولاية الأمر إنهم: «غَمَسُوا أَلْسِنَتَهُمْ فِي رَكَامِ مِنَ الْأَوْهَامِ وَالْآثَامِ، ثُمَّ بَسَطُوا بِإِصْغَارِ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِمْ، وَالتَّشْكِيكِ فِيهِمْ وَخَدَشَهُمْ، وَإِلْصَاقِ التُّهْمِ بِهِمْ، وَطَمَسِ مُحَاسِنَهُمْ، وَالتَّشْهِيرِ بِهِمْ، وَتَوَازِيْعِهِمْ أَشْتَاتَا وَعَزِينَ: فِي عَقَائِدِهِمْ، وَسُلُوكِهِمْ، وَدَوَاحِلِ أَعْمَالِهِمْ، وَخَلْجَاتِ قُلُوبِهِمْ، وَتَفْسِيرِ مَقَاصِدِهِمْ، وَنِيَاتِهِمْ... كُلِّ ذَلِكَ وَأَضْعَافِ ذَلِكَ مِمَّا هُنَالِكَ مِنَ الْوِيْلَاتِ يَجْرِي عَلَى طَرَفِي التَّصْنِيفِ: الدِّينِي، وَاللَّادِينِي.

فَتَرَى وَتَسْمَعُ رَمِي ذَاكَ أَوْ هَذَا بِأَنَّهُ: خَارِجِي، مَعْتَزِلِي، أَشْعَرِي، طُرْقِي، إِخْوَانِي، تَبْلِيغِي، مَقْلَدٌ مَتَعَصِّبٌ، مَتَطَرِفٌ، مَتَزَمَّتٌ، رَجْعِي، أَصُولِي.

وَفِي السُّلُوكِ: مَدَاهِنٌ، مَرَاءٌ، مِنْ عُلَمَاءِ السُّلْطَانِ، مِنْ عُلَمَاءِ الْوُضُوءِ وَالْغَسْلِ.

وَمِنْ طَرَفِ لَا دِينِي: مَاسُونِي، عَلَمَانِي، شَيْوَعِي، اشْتِرَاقِي، بَعْثِي، قَوْمِي، عَمِيلٌ.

وَإِنْ نَقَبُوا فِي الْبِلَادِ، وَفَتَشُوا عَنْهُ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَجِدُوا عَلَيْهِ أَيْ

(١) تفسير ابن كثير ٥٢٥/٣، وانظر: تفسير القاسمي ٤٩٠٧/١٣.

عشرة أو زلة، تصيّدوا له العثرات، وأوجدوا له الزلات، مبنية على شبه واهية، وألفاظ محتملة.

أما إن أفلست جهودهم من كل هذا، رموه بالأخرى فقالوا :
متستر، محيد .

إلى غير ذلك من ضروب تطاول ساعة الفتنة والتفرق، وتمزيق
الشمل والتقطع...»^(١).

إلى أن يقول: «وبالجملة فهذا القطيع هم أسوأ غزاة الأعراض
بالأمراض، والعضّ بالباطل في غوارب العباد، والتفكّه بهم، فهم
مقرنون بأصفاد الغل والبغضاء والحسد والغيبة والنميمة والكذب
والبهت والإفك والهمز واللمز جميعها في نفاذ واحد. إنهم بحق
رمز الإرادة السيئة يرتعون فيها بشهوة جامحة، نعوذ بالله من
حالمهم ، لا رعوا.... من كل أبواب سوء القول قد أخذ بنصيب،
فهو يقاسم القاذف ويقاسم البهّات والقنات والنمام والمغتتاب،
ويتصدر الكذابين الوضاعين في أعز شيء يملكه المسلم عقيدته
وعرضه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾

[سورة الأحزاب: ٥٨] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «.. وأيا رجل
أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء سبه بها في الدنيا، كان

(١) تصنيف الناس بين الظن واليقين ص ٩ - ١٠ .

حقاً على الله أن يذبيح يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال»^(١).
وبهذا يظهر لنا واضحاً أن الآيات التي أنزلت في الإفك وإن
كانت بخصوصها في تبرئة عائشة رضي الله عنها مما قذفت به ظلماً
وبهتاناً وإفكاً وزوراً، فهي تشمل كل أنواع الكذب الذي ينال
المؤمن العفيف البريء الغافل، سواء كان في دينه أو معتقده
أو عرضه أو سلوكه أو دواخله ، كما سماه الشيخ بكر رحمه الله إلى
غير ذلك من الافتراءات.



(١) أخرجه ابن ابي الدنيا موقوفاً ، عن أبي الدرداء في كتاب الصمت وآداب
اللسان ، باب ذم النميمة ١ / ١٥٥ ، وقال الألباني في ضعيف الترغيب
والترهيب : « ضعيف » ٢ / ٤٥ .

المبحث الأول:

بين يدي حادثة الإفك

أولاً : حادثة الإفك في السنة والسيرة النبوية^(١).

ذكر أهل السير والسنن حادثة الإفك بروايات متعددة ومتقاربة إلى حد كبير^(٢)، ونختار هنا أصحها وأكملها، وهي رواية الصحيحين^(٣)، جاء في «صحيح البخاري»:

«حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةٌ مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَثْبَتَ لَهُ اقْتِصَاصًا، وَقَدْ

(١) اعتمد الباحث تقديم رواية الحادثة من السنة على سرد الآيات الواردة في الحادثة من باب اعتماد السرد التاريخي للحادثة، حيث سبقت الحادثة نزول الآيات، لا من باب تقديم السنة على القرآن، فهذا غير لائق كما هو متفق عليه بين المسلمين.

(٢) انظر: حديث الإفك ص ١٠٥ وما بعدها، والذي عليه ص ٢٠١ وما بعده.

(٣) البخاري في صحيحه برقم (٤١٤١)، باب في حديث الإفك، مسلم في صحيحه، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف برقم (٢٧٧٠).

وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ^(١) ،
وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْعَى لَهُ مِنْ
بَعْضٍ .

قَالُوا قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ
أَزْوَاجِهِ ، فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ .

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا ، فَخَرَجَ فِيهَا
سَهْمِي ، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ ، فَكُنْتُ
أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي^(٢) وَأُنْزَلُ فِيهِ ، فَمَرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلْ ، دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ ، أَدْنَى لَيْلَةٍ بِالرَّحِيلِ ،
فَقُمْتُ حِينَ أَذْنُوا بِالرَّحِيلِ ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَبِشَ ، فَلَمَّا
قَصَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي ، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ
جَزَعِ ظَفَارٍ^(٣) قَدْ انْقَطَعَ ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي ، فَحَبَسَنِي
ابْتِغَاؤُهُ ، قَالَتْ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرْحَلُونِي ، فَاحْتَمَلُوا
هَوْدَجِي ، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ ، وَهُمْ

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ليس المراد أن عائشة تروي عن نفسها، بل
معنى قوله: (عن عائشة)، أي: عن حديث عائشة في قصة الإفك». فتح
الباري ٤٥٧/٨.

(٢) الهودج: مركب من مراكب النساء مضرب وغير مضرب. الصحاح ٣٧٣/٢
مادة (هدج).

(٣) خرز معروف، في سواده بياض كالعروق. انظر: فتح الباري ٤٥٩/٨.

يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ ، وَكَانَ النَّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ^(١) وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ^(٢) ، فَلَمْ يَسْتَكِرِ الْقَوْمُ خِفَّةَ الْهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ فَسَارُوا ، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ ، فَتِمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ ، فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَى ، وَكَانَ رَأَى قَبْلَ الْحِجَابِ ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي ، فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي ، وَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ ، وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا ، فَاَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ^(٣) ، وَهُمْ نَزُولٌ .

(١) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ١٧/ ١٠٤ : « ضبطوه على أوجه ، أشهرها : ضم الياء ، وفتح الهاء ، والباء المشددة ، أي : يثقلن باللحم والشحم » .

(٢) أي : يكتفين بالبلغة من الطعام . النهاية ٣/ ٥٥٦ .

(٣) أي : في وقت الهاجرة وقت توسط الشمس السماء . النهاية في غريب الحديث ٥/ ٤٥٩ .

قَالَتْ: فَهَلْكَ [فِي] مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبَرَ الْإِفْكَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ.

قَالَ عُرْوَةُ: أَخْبَرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ^(١) وَيَتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ، فَيَقِرُّهُ
وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ.

وَقَالَ عُرْوَةُ: أَيضًا لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكَ أَيضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ
ثَابِتٍ ، وَمِسْطَحُ بْنُ أَنَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ فِي نَاسٍ آخَرِينَ، لَا
عِلْمَ لِي بِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنَّ كِبَرَ ذَلِكَ يُقَالُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ.

قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ، وَتَقُولُ
إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا،
وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكَ ، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ
ذَلِكَ ، وَهُوَ يَرِيْبُنِي^(٢) فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي ، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ فَيَسْلِمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُمُ؟» ثُمَّ يَنْصَرِفُ ، فَذَلِكَ يَرِيْبُنِي
وَلَا أَشْعُرُ بِالْشَّرِّ.

(١) شاع الحديث وأشاعه: إذا ظهر وأظهره. النهاية ١٢٦٩/٢.

(٢) الرية: الشك. النهاية ٦٨٤/٢.

حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ^(١)، فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قَبْلَ
 الْمَنَاصِعِ^(٢)، وَكَانَ مُتَبَرِّزَنَا، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ
 قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ^(٣) قَرِيبًا مِنْ بَيْوتِنَا. قَالَتْ: وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ
 الْأَوَّلِ فِي الْبَرِّيَّةِ قَبْلَ الْغَائِطِ، وَكُنَّا نَتَّأَذَى بِالْكُنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ
 بَيْوتِنَا، قَالَتْ: فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهِمِ بْنِ
 الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَهُ أَبِي بَكْرٍ
 الصَّدِيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُنَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا
 وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرْتُ^(٤) أُمُّ مِسْطَحٍ
 فِي مَرِطِهَا^(٥)، فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحُ!

فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ، أَتُسَيِّنَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟!

فَقَالَتْ: أَيُّ هَتَّاهُ!^(٦) وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟!

قَالَتْ وَقُلْتُ: مَا قَالَ؟

(١) نَقَهَ المريض يَنْقُهُ فهو نَاقِهٌ: إذا برأ وأفاق. النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٣٢.

(٢) المناصع: هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة، واحدها: منصع؛ لأنه يُبْرَزُ إليها ويُظْهَر. النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٤٥.

(٣) الكنف: الكنيف: الساتر، ومنه قيل للكرباس الذي تقضى فيه حاجة الإنسان: كنيف. لسان العرب ٩/ ٣٠٨، مادة (كنف).

(٤) عثرت: عثر يعثر ويعثر وتعثرت كبا. لسان العرب، مادة (عثر).

(٥) المرط: كساء من صوف أو خز يؤتز به وتلتفع المرأة به، وجمعه: مروط. المصباح المنير ٢/ ٥٦٩، مادة (مرط).

(٦) أَيُّ هَتَّاهُ: أي: يا هذه، والجمع هنوات وهنَّات. النهاية ٥/ ٦٥١.

فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ . قَالَتْ: فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي .

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: « كَيْفَ تَيْكُمُ »؟ فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا .

قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ! مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بَنِيَّةُ هُوَنِي عَلَيْكَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا صَرَائِرُ، إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا. قَالَتْ فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَوْلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟! قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرَقًا^(١) لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بَنُومٌ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي .

قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ^(٢) الْوَحْيَ يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ . قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ هُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلَى فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقْكَ، قَالَتْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) يرقأ : يقال: رقا الدمع والدم : إذا سكن وانقطع . النهاية ٢ / ٦٠٨ .

(٢) استلبث: لبث واللَّبَثُ: المكث ، قال تعالى : ﴿ لَا يَتَّبِعُ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ . لسان العرب ٢ / ١٨١ ، مادة (لبث) .

بَرِيرَةُ فَقَالَ : « أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ » ، قَالَتْ لَهُ
بَرِيرَةُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتِ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ ، غَيْرَ
أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ^(١)
فَتَأْكُلُهُ .

قَالَتْ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ ، فَاسْتَعَذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ أَبِي وَهُوَ عَلَى الْمَنَبَرِ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ
رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا
خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى
أَهْلِي إِلَّا مَعِي » .

قَالَتْ : فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ : أَنَا يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عَنْقَهُ ، وَإِنْ كَانَ
مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ .

قَالَتْ : فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتُ عَمِّهِ
مِنْ فَخْذِهِ ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ ، قَالَتْ : وَكَانَ
قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا ، وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ ، فَقَالَ لِسَعْدٍ : كَذَبْتَ
لِعَمْرِ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا
أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ .

(١) الداجن: جمع دجن ، وهي: الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم. النهاية

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ
عَبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ! لَنَقْتُلَنَّه، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ مُجَادِلٌ عَنِ
الْمُنَافِقِينَ .

قَالَتْ: فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هُمُوا أَنْ يَقْتَتِلُوا،
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يُخَفِّضُهُمْ^(١) حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ، لَا يَرِقْ أَلِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ
بِنَوْمٍ، قَالَتْ: وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، لَا
يَرِقْ أَلِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لَا ظَنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ^(٢)
كَبِدِي، فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى امْرَأَةٍ
مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي.

قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ
ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ
لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بَشْيٌ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ
كَذًا وَكَذًا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيَرُّكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلُمَّتْ
بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ

(١) يخفضهم: أي: يسكنهم ويهون عليهم الأمر من الخفض، أي: الدعة
والسكون. النهاية ١٢٩/٢.

(٢) فالق: الفلق: الشق، والفلق: الصبح حين ينشق. النهاية ٩٢١/٣.

تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

قَالَتْ : فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتهُ قَلَصَ دَمْعِي ^(١) حَتَّى مَا أَحْسَسُ مِنْهُ فَطْرَةً ، فَقُلْتُ لِأَبِي : أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ . فَقَالَ أَبِي : وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ لِأُمِّي : أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ . قَالَتْ أُمِّي وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنَّ لَا أَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ كَثِيرًا إِنِّي : وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ ، فَلَيْنَ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي ، وَلَيْنَ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقَنِي ، فَوَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ :

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [سورة يوسف : ١٨] ، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِرَّاءَتِي ، وَلَكِنَّ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلُ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى ، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ ، وَلَكِنَّ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَِا .

فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ ^(٢) ،

(١) قَلَصَ دَمْعِي ، أَي : ارْتَفَعَ وَذَهَبَ . النهاية ١٥٦ / ٤ .

(٢) الْبُرْحَاءُ : أَي : شِدَّةُ الْكَرْبِ مِنْ ثِقَلِ الْوَحْيِ . النهاية ٢٩٢ / ١ .

حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ الْعَرَقِ مِثْلَ الْجَمَانِ^(١) وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ،
مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَسَرَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ! أَمَّا
اللَّهُ فَقَدْ بَرَأَكِ ». قَالَتْ فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ. فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا
أَقُومُ إِلَيْهِ ، فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَتْ : وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِآيَاتِكُمْ غِصْبَةً مِنْكُمْ...﴾
الْعَشْرَ الْآيَاتِ، ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحَ بْنِ أَنَاثَةَ
لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ : وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي
قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ إِلَى
قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي
لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ
عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ
عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ لَزَيْنَبَ: « مَاذَا عَلِمْتَ أَوْ رَأَيْتِ؟ ». فَقَالَتْ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا . قَالَتْ

(١) الجمان: هو اللؤلؤ الصغار، وقيل: حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ. النهاية

عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَعَصَمَهَا
اللَّهُ بِالْوَرَعِ.

قَالَتْ: وَطَفِقتُ أُخْتُهَا حَمَتُهُ تَحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكْتُ فِيمَنْ هَلَكَ.

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: فَهَذَا الَّذِي بَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِ هُوَلَاءَ الرَّهْطِ.
ثُمَّ قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ
لِيَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثَى
قَطُّ. قَالَتْ ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

ثانياً: الآيات التي نزلت في حادثة الإفك:

هي الآيات التي بدأت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ
عَصَبَةٌ مِنْكُمُ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا
أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة
النور: ١١]، وهي عشر آيات كما جاء في رواية الصحيحين، وذهب
بعض المفسرين إلى أنها ثمان عشرة آية^(١).

تبدأ بالآية المذكورة أعلاه، وتختتم بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ
مُبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٦]،
وهذا الذي يميل إليه الباحث؛ لأن سياق الآيات واحد، ويمكن

(١) انظر: الكشف ٣٧٨/٢، تفسير الرازي ١٩٥/٢٤، ومحمد رسول الله ﷺ،

للعرجون ٢٢٣/٤.

الجمع بين مختلف الروايات بأن نزول الآيات العشر الأولى كان تبرئة لعائشة رضي الله عنها، ثم نزلت الآيات التابعة لها تنمة لسياق القصة، وبيان أحكامها، وهذه هي الآيات التي نزلت بخصوص حادثة الإفك على ما اخترنا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ تَوَلَّى جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ الْأَيَّاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ

يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا
وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
الْمُبِينُ ﴿٢٦﴾ الْخَيْثُوثُ وَالْخَيْشَانُ وَالْخَيْثُوثُ وَالْخَيْشَانُ وَالْطَّيِّبَتُ
لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿سورة النور: ١١ - ٢٦﴾.

ثالثاً: الأسباب التي دعت المنافقين للوقوع في الإفك:

من المجمع عليه أن سورة النور نزلت بعد غزوة بني المصطلق ، ومنها آيات براءة عائشة رضي الله عنها ، وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم ، وغزوة بني المصطلق كانت في شهر شعبان سنة ست من الهجرة على ما اختاره ابن القيم^(١) ، وابن حزم وغيرهما من العلماء رحمهم الله ، وسار عليه بعض المعاصرين^(٢) ، أي : أنها كانت بعد تسع عشرة سنة من بداية الدعوة المحمدية ، انتشر فيها الإسلام بين العرب ، وحقق المسلمون بعض المكاسب العسكرية ، كغزوة بدر الكبرى ، وأصبح للمسلمين كيان مستقل

(١) انظر : زاد المعاد ، والسيرة ، لابن حزم ٥ / ١ .

(٢) انظر : تفسير سورة النور ، للمودودي ص ٨ .

خاص بهم في المدينة ، الأمر الذي جعل أعداء الدعوة يترصدون بها ، وتغير صدورهم أن يروا انتشارها وانتصارها، فكان لا بُدَّ من الكيد والتآمر لوقف هذا المدّ، لا سيما وأن الجهود والحشود العسكرية الضخمة قد فشلت في غزوة الأحزاب ، وظهرت قوة المسلمين العسكرية والمعنوية ، خصوصاً بعد سلوك النبي ﷺ المرحلة الثالثة من الجهاد ، وهي جهاد الطلب.

فكان لابد من المناوئين لهذه الدعوة سلوك طريق آخر، هو طريق إثارة الفتن، وإثارة الشبهات، وإشاعة الفوضى داخل المجتمع المسلم ، وخير من يقوم بهذا الدور من هم داخل الصف المسلم، وهم المنافقون، وداخل الدولة المسلمة وهم اليهود.

وأولى هذه المؤامرات كانت في قصة زواج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة^(١)، حيث أثار أهل النفاق عليه ضجة عظيمة ، وأرادوا إحداث فتنة فيها باختلاق الأكاذيب ورمي الافتراءات والشُّبه على هذا الزواج ، إلى أن نزلت الآيات التي في سورة الأحزاب^(٢) توضح الحقائق وتجليها وتحبط مؤامرات المتربصين ، وتكشف شُبه المنافقين وتردّ عليها ، فكانت هذه هي الغارة أو المؤامرة الأولى التي شنّها المنافقون على المجتمع المسلم.

أما الغارة الثانية فكانت في غزوة بني المصطلق أو غزوة

(١) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ٤ / ١٤٥ .

(٢) انظر : الآيات (١ - ٦) ، و (٣٦ - ٤٠) من سورة الأحزاب .

المريسيع ، حيث بلغ النبي ﷺ أن بني المصطلق يتأهبون للغارة عليه ، وأنهم دعوا من حولهم من قبائل العرب لمناصرتهم ، فخرج إليهم لاستئصال الفتنة قبل أن ترفع رأسها ، وخرج معه رأس النفاق عبدالله بن أبي ابن سلول مع أناس من قومه ، ولم يكن من عادته الخروج مع النبي ﷺ لولا إرادة الكيد والتربص بالمسلمين وبدعوة النبي ﷺ ، وانتهاز الخبيث مشاجرة حصلت بين واردين على الماء ، واستنجاد أحدهما بالأنصار والآخر بالمهاجرين بإثارة النعرات الجاهلية بين المسلمين .

وتحمّل النبي ﷺ هذا الموقف بهدوء ، وعالجه بحكمة ، حيث أمر الناس أن يسيروا يوماً وليلة متواصلين حتى أخذ الجهد والتعب من الصحابة كل مأخذ ، فما لبثوا أن استراحوا وناموا بمجرد الوقوف عن السير ، وكان هذا سبباً لنسيان الموقف الذي حصل من المنافقين في هذه الغزوة أو التهوين من شأنه على أقل تقدير ، والقصة مبسوبة بتفاصيلها في كتب السيرة^(١) .

وما كادت تنطفئ جذور هذه الفتنة حتى أثار عبدالله بن أبي فتنة أخرى في هذه الرحلة نفسها ، وكانت هي الأخطر والأشد على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين ، ولولا تماسك المجتمع المسلم وقوة أواصر الأخوة الإيمانية بين أفرادها لظهرت في المدينة حرب داخلية شديدة ، وهذه الفتنة هي إفك عبدالله بن أبي ابن سلول على

(١) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ٤ / ١٨٠ ، زاد المعاد ٣ / ٢٢٩ .

أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها ، ولأنه لا يخلو أي مجتمع مسلم من ضعيفي الإيمان أو أصحاب الأهواء ، أو المصالح الدنيوية ، فقد خاض فيها بعض المؤمنين لأغراض نفسية ليست دينية وعن جهل بعواقب ما وقعوا فيه .
وقد عد بعض الباحثين هذه الحادثة أخطر وأخبث مكائد النفاق على الإسلام وأعظم شدة وبلاء لم يدخل على المسلمين مثله من قبل^(١) .

ومع ذلك فقد قابلوها بصبر لم يتجرعوا مثل مرارته في كارثة من كوارث الحياة ، ولكنهم تجلدوا لها واحتملوا لهيب نيرانها وهي تشوي قلوبهم وأكبادهم ، وتحرق أفئدتهم ؛ لأنهم فوجئوا بها ، فلم يعرفوا لها مدخلاً ولا مخرجاً ؛ لأن المقادير الإلهية أرادتها ؛ لتكون أبلغ درس في التربية الاجتماعية للمجتمع المسلم ، فكانت خيراً خرج من شر .

ومن خلال هذا التقديم الموجز نستطيع أن نلخص أسباب الوقوع في هذا الإفك في التالي :

١ - النفاق والتربص بالمؤمنين وبقيادتهم ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِّنَ

(١) انظر: محمد رسول الله ﷺ ، للعرجون ٤ / ٢٢٠ .

الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ [سورة النساء: ١٤١]، قال ابن القيم رحمه الله: «وأما النفاق فالداء العضال الباطن الذي يكون الرجل ممتلئاً منه وهو لا يشعر، فإنه أمر خفي على الناس، وكثيراً ما يخفى على من تلبس به، فيزعم أنه مُصلح وهو مُفسد...»^(١) إلخ.

٢ - الغيرة والحسد، وهذا موقف قد يصدر من بعض المؤمنين، فتدفعه الغيرة أو الحسد من الطرف الآخر إلى التكلم فيه، بإفك أو بهتان أو إشاعته، أو التعريض به، وقد حذرنا النبي ﷺ من هذه بقوله: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ»^(٢)، وأخبر بأن «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»^(٣)، وهذا الموقف صدر من همنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش غيرة على أختها، لعلمها بمكانة عائشة رضي الله عنها عند النبي ﷺ، وهذا الذي دعا أم رومان زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين بقولها لابنتها عائشة رضي الله عنها حين أرادت أن تسليها في مصيبتها: «خَفَّفِي عَلَيْكَ

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٤٧.

(٢) رواه الترمذي (٢٠٨٥٤)، وقال: «هذا حديث صحيح»، وقال الألباني: حسن، وقال الهيثمي في «جمع الزوائد» ٧/ ٣٣٩: «رواه البزار، وإسناده جيد».

(٣) أخرجه أبو داد في «سننه» برقم (٤٩٠٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وضعفه الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» برقم (١١٥).

الشأن ، فإنه والله لقلما كانت امرأة جميلة تكون عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا حسدنها وقلن فيها» ، كما سبق في سياق القصة.

٣ - حالة من حالات ضعف الإيمان أو النفس ، كما حصل لحسان بن ثابت رضي الله عنه ومسطح بن أثاثه ، ولا شك أن ذلك يرجع إلى جهلهم بعاقبة الأمور ، واندفاعهم دون تروٍّ في معرفة العواقب ، ولا نظن في أصحاب رسول الله ﷺ إلا خيراً ، ولو كانوا يعلمون عواقب ما تكلموا به لا نشك أبداً أنهم كانوا أبعد الناس من الحديث فيه ، ويدل على ذلك ندمهم وتوبتهم بعد نزول الآيات ، وقبول النبي ﷺ لتوبتهم ، فمسطح نزلت الآيات التي تزكي إيمانه بكونه من المهاجرين في سبيل الله ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النور: ٢٢] ، وهو من أهل بدر الذي قال الله فيهم : «اعملوا ما شئتم ، فإنني قد غفرت لكم»^(١).

وأما حسان رضي الله عنه فقد نظم أبياتاً في مدح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وقد غفرت له عائشة رضي الله عنها ذلك لهذه الأبيات التي يقول فيها:

(١) رواه البخاري في صحيحه ، باب الجاسوس (٣٦٨٢) ، ومسلم في صحيحه ، في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أهل بدر رقم (٢٤٩٤).

حصانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ وتُصْبِحُ غَرَّتِي من لحومِ الغوافِلِ^(١)
 حليلةٌ خيرِ الناسِ ديناً ومنصباً الغوافِلِ^(١)
 عقيلةٌ حيٌّ من لؤيٍّ بنِ غالبٍ نبيُّ الهدى والمكرِّماتِ الفواضِلِ
 مهذبَةٌ قد طيبَ اللهُ خيمها كرامِ المساعي مجدّها غيرُ زائلِ
 فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتمُ وطهرها من كلّ سوءٍ وباطلِ^(٢)
 وإن الذي قد قيلَ ليسَ بلائطٍ فلا رَفَعْتُ سَوطِي إلى أناملي
 فكيفَ ووُدِّي ما حييتُ ونُصرتي بها الدهرُ بل قولُ امرئٍ بي ماحلِ^(٣)
 له رَتَبٌ عالٍ على الناسِ كلهمُ ماحلِ^(٣)
 رأيْتُكَ وليغفرَ لك اللهُ حرةً لآلِ نبيِّ اللهِ زينِ المحافلِ
 وكانت عائشة رضي الله عنها ترد عن حسان أيضاً وتقول: إنه تقاصرُ عنه سورةُ المتطاولِ^(٤)
 الذي قال: من المُحصناتِ غيرَ ذاتِ غوائلِ^(٥)

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء^(١)

(١) حصان: العفيفة. الرزان: ذات الثبات والوقار والعفاف. تُزَنُّ: تُتَّهَم. غَرَّتِي: جائعة.

(٢) الخيم: الأصل.

(٣) لائط: لازق. الماحل: من محل به إلى الأمير: سعى به وكاده، وقال: إنه قال شيئاً لم يقله، وافترى عليه.

(٤) رَتَبٌ: ما أشرف على الأرض، استعارة للمجد والشرف، سورة: وثبة.

(٥) الغوائل: جمع غائلة: الفساد والشر.

والأبيات في ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه ص ١٨٨ - ١٨٩.

هذه الأسباب هي التي استنبطناها من الحادثة، وقد تكون
هناك أسباب أخرى حينما تتكرر القصة أو الحادثة مع آخرين وفي
أزمان أخرى. والله المستعان.

(١) انظر: صحيح مسلم ٤/ ٢٧٧٠، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف.
وديوان حسان بن ثابت ص ٩.

المبحث الثاني:

الآداب الاجتماعية التي دلت عليها حادثة الإفك

اشتملت حادثة الإفك على جملة من الآداب الاجتماعية، استنبطها الفقهاء ضمن الفوائد والأحكام التي دلت عليها حادثة الإفك، وقد تتداخل هذه الآداب مع ما سيأتي في مبحث المسائل الفقهية التي دلت عليها الحادثة لتداخلها مع أبواب الفقه، حيث يذكر الفقهاء آداب المريض، وآداب المشي إلى الصلاة، ونحو ذلك ضمن ما يذكر من المسائل الفقهية، ولأهمية هذه الآداب وزيادة في توضيح الفوائد كان إفراد الآداب الاجتماعية وفصلها عن المسائل الفقهية في هذا المبحث مستقلة عن المسائل الفقهية.

ومن هذه الآداب التي دلت عليها الحادثة:

أولاً: آداب الأخوة والصحبة والمعاشرة:

يقول الإمام الغزالي في بداية كلامه عن آداب الأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق: «فإن التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات، ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحايين في الله تعالى، وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان، فالقيام بحقوقها يقرب

إلى الله تعالى زلفى ، وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى»^(١) .
ثم شرع في التفصيل في آداب الأخوة والصحبة والمعاشرة ،
وقد اشتملت حادثة الإفك على جملة منها بتفاصيل دقيقة قد
لا توجد في كتب أخرى ، ومنها كتاب الإمام الغزالي رحمه الله ، ومن
هذه الآداب:

١ - النهي عن مخالطة ومقارنة الظالمين وأهل الفسق والبدع:

وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ
وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ
مُتَّبِعُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٦].
ودلت الآية على أن: كل خبيث من الرجال والنساء والكلمات
والأفعال مناسب للخبيث، وموافق له، ومقترن به، ومُشاكل له، وكل
طيب من الرجال والنساء والكلمات والأفعال مناسب للطيب
وموافق له، ومقترن به، ومُشاكل له، فهذه كلمة عامة وحصر لا يخرج
منه شيء^(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسير هذه الآية:
«وهكذا السنة في مقارنة الظالمين والزناة وأهل البدع والفجور

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ١٥٧ .

(٢) تفسير السعدي ص ٦٦٨ .

وسائر المعاصي، لا ينبغي لأحد أن يقارنهم ولا يخالطهم إلى وجه يسلم به من عذاب الله عز وجل، وأقل ذلك أن يكون منكراً لظلمهم، ما قِتا شائناً ما هم فيه بحسب الإمكان، كما في الحديث «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيـان»^(١).... وذلك أن مقارنة الفجار إنما يفعلها المؤمن في موضعين: أحدهما: أن يكون مكرهاً عليها.

والثاني: أن يكون ذلك في مصلحة دينية راجحة على مفسدة المقارنة، أو أن يكون في تركها مفسدة راجحة في دينه، فيدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصل المصلحة الراجحة باحتمال المفسدة المرجوحة... فالمصاحبة والمصاهرة والمؤاخاة لا تجوز إلا مع طاعة الله تعالى على مراد الله...»^(٢).

٢ - من رمى بالقذف جاز لمن معه هجره:

وإن لم يتحقق عليه ما قيل، ولا يجوز هجره بالكلية، وإنما ينقص له من العادة التي كان يعامل بها بحسب ما كان الواقع؛ لأن النبي ﷺ لم يبق لعائشة رضي الله عنها ما عهدت منه من اللطف ولم يهجرها أيضاً بالكلية، حيث كان يُسَلَّم حين يدخل «والسلام يُخرج

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه »، في كتاب الإيمان برقم (٤٩).

(٢) دقائق التفسير ٤/ ٤٠٧ - ٤٠٩، وانظر: تفسير القاسمي ١٣/ ٤٤٧٤ - ٤٤٧٨.

من الهجران»^(١)، كما جاء في الأثر حتى يسأل عن السبب فيزيله^(٢).

٣ - هجران أهل المعاصي مراتب:

فيكون بداية بترك الكلام والملاطفة، فإذا كان السبب محققاً فيترك أصلاً، وإن كان مظلوناً يخفف، وإن كان مشكوكاً فيه أو محتملاً فيحسن التقليل منه لا للعمل بما قيل، بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه؛ لأن ذلك من خوارم المروءة^(٣).

٤ - التثبت عن الأخبار ما لم يُعلم الصواب:

وذلك عمن له به تعلق، أما غيره فهو منهى عنه، وهو تجسس وفضول^(٤)، وهو ما فعله النبي ﷺ لما استشار علياً وأسامة بن زيد رضي الله عنهم، وأشار عليه الثاني بسؤال الجارية.

٥ - مؤاخذه المسلم على أعماله الباطنة السيئة، كالحقد

والحسد والظن السيء ومحبة شيوع الفاحشة ونحو ذلك:

وذلك مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ

(١) الموطأ، رواية محمد بن الحسن، باب الرجل يهجر أخاه ٢/ ٤٠٠، وهو في حديث النبي ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهم الذي يبدأ بالسلام».

(٢) انظر: حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ٧٢، ٧٣، وشرح النووي على مسلم ١١٧/ ١٧.

(٣) فتح الباري ٨/ ٣٣٧ بتصرف يسير.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم ١١٦/ ١٧.

أَلْفَحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿[سورة النور: ١٩]﴾ ، قال الألوسي: «وترتب ذلك على المحبة ظاهر على ما نقل عن الكرمانى من أن أعمال القلب السيئة، كالحقد والحسد ومحبة شيوع الفاحشة يؤاخذ العبد إذا وطن نفسه عليها»^(١)، «فأهل الإفك كما يعاقبون على الإظهار يعاقبون بإسرار محبة الإشاعة، فدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين كوجوب كف الجوارح والقول عما يضرهم»^(٢).

٦ - ذب المسلم عن أخيه المسلم خصوصاً إذا كان من أهل الفضل:

وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل^(٣)، وكره من صدر عنه ذلك الكلام القبيح في أهل الفضل أو الأبرياء، كما فعلت أم مسطح رضي الله عنها مع مسطح^(٤)، وفي الحديث الذي يرويه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»^(٥).

(١) تفسير الألوسي ١٨/١٢٢.

(٢) تفسير الهري ١٩/٢٦٣.

(٣) فتح الباري ٨/٣٣٧.

(٤) شرح النووي على مسلم ١٧/١١٧.

(٥) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (١٩٣١)، كتاب الذبائح، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم وقال:

٧ - الآداب الواجبة عند سماع القبيح عن أخيه المسلم كما جاء في الآيات:

أ - عدم التعاطي مع القول أو القائل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٦].

ب - الإنكار على القائل والرد عليه، وطلب البينة على قوله، كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَقُولِيكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَذِبُونَ﴾ [سورة النور: ١٣].

ج - الحكم عليه بالكذب والافتراء والبهتان والغيبة كما في الآية السابقة .

د - عدم النقل ونشر الكلام بين الناس ، كما قال تعالى معاتباً عباده المؤمنين : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالْسَّلَامَةِ تَلَقَّوْنَهُ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٥].

هـ - إحسان الظن بالمسلم المتكلم فيه، ووضع النفس مكانه ، كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [سورة النور: ١٢]، وكما فعل أبو أيوب الأنصاري مع زوجه رضي الله عنهم لما دخل عليها، قالت

هذا حديث حسن، وأحمد، وابن أبي شيبة وغيرهم بألفاظ مقاربة.

له: يا أبا أيوب! أسمعت ما قيل؟ قال: نعم وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب تفعلين ذلك؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة والله أفضل منك، قالت أم أيوب: نعم^(١).

قال القرطبي رحمه الله: «ولأجل هذا قال العلماء: الآية أصل في أن درجة الإيمان التي حازها الإنسان ومنزلة الصلاح التي حلها المؤمن ولبسة العفاف التي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع إذا كان أصله فاسداً أو مجهولاً»^(٢).

٨ - من استفسر عن حال شخص، فأراد بيان ما فيه من عيب، فليقدم ذكر عذره في ذلك إن كان يعلمه:

كما قالت بريرة في عائشة حين عتبها بالنوم عن العجين، فقدمت قبل ذلك أنها جارية حديثة السن، وحلفت على ذلك^(٣).

٩ - على من رمي بشيء لم يفعله أن يعلم أن الله يبرئه منه:

كما برأ الله عائشة ومن قبلها يوسف ومريم عليهما الصلاة والسلام وغيرهما من الصالحين، ولقوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «فإن كنت بريئة فسيبرئك الله عز وجل»^(٤).

١٠ - التعصّب لأهل الباطل يُخرج صاحبه عن اسم الصلاح:

(١) انظر: تفسير القرطبي ٢٠٢/١٢.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠٣/١٢، أحكام القرآن، لابن العربي ٣/٣٦٤ - ٣٦٥.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/٣٣٨، وحديث الإفك، لابن أبي جرة ص ٩٩.

(٤) انظر: حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ١٢٦، ١٣٧ - ١٣٨.

كما حصل في الخصومة بين سعد بن عباد وأسيد بن حضير رضي الله عنهما.

١١ - المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات وتسكين الغضب^(١):

وذلك كما فعل النبي ﷺ حين تشاح الأوس والخزرج في المسجد ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

١٢ - إكرام المحبوب بمراعاة أصحابه ومن خدمه أو أطاعه:

كما فعلت عائشة رضي الله عنها بمراعاة حسان بن ثابت رضي الله عنه وإكرامه إكراماً لدفاعه وتسخير شعره للدفاع عن رسول الله ﷺ .

١٣ - العفو عن المسيء والإغضاء عن الجفوة:

وأن ذلك سبب لوقوع المغفرة لمن أحسن إلى من أساء إليه، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النور: ٢٢] .

(١) انظر : شرح النووي على مسلم ١١٧/١٧ ، وفتح الباري ٣٣٨/٨ .

١٤ - أهل الخير والصلاح مطالبون بأشياء لم يطالب بها غيرهم:

وخصوصاً نساء النبي ﷺ^(١)؛ لقوله تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا النِّسَاءُ اَلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَاٰحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ اِنَّ اَتَّقِيْنَ فَلَآ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِيْ فِيْ قَلْبِهٖ مَّرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوْفًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢] .

(١) حديث الإفك ، لابن أبي جمرة ص ١٢٧ .

ثانياً: آداب الاستشارة:

تضمنت الحادثة بعض آداب الاستشارة وهي:

١ - استحباب الاستشارة في الجملة:

لحديث «ما ندم من استخار، وما خاب من استشار»^(١)، بشرط استشارة من هو أهل لذلك^(٢).

٢ - استشارة الأعلى لمن هو دونه:

كما فعل النبي ﷺ حينما استشار علياً وأسامة بن زيد رضي الله عنهم وهم من الشباب، وقد كان عمر رضي الله عنه يجمع الشباب إذا وقعت النوازل ويستشيرهم^(٣).

٣ - الاستشارة أحياناً لمن هم أهل بطانة المرء ومن يلوذ بهم: خصوصاً في المسائل الخاصة^(٤)، خاصة إذا كانوا من أهل العقل والمعرفة بعواقب الأمور^(٥).

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٨ (١٣١٥٧): رواه الطبراني في الأوسط والصغير من طريق عبد السلام عن عبد القدوس، وكلاهما ضعيف جداً.

(٢) حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ٩٤.

(٣) حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ٩٥.

(٤) انظر: فتح الباري ٨ / ٣٣٨.

(٥) حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ٨٦.

ثالثاً : آداب الحديث:

اشتملت حادثة الإفك على جملة من آداب الحديث ذكرها العلماء هي:

١ - استحباب البدء في الأمر المهم:

بالحمد لله والثناء عليه بما هو أهله ، ثم الصلاة على نبيه ﷺ والشهادتين ، وأن يأتي بعد ذلك بـ : أما بعد .

قال الإمام النووي : «وقد كثرت فيه الأحاديث الصحيحة»^(١) ، وهو ما فعله النبي ﷺ في خطبته للناس ، وعند بدء كلامه مع عائشة رضي الله عنها ، وهي سنته في كل أمر مهم كما نص عليه النووي رحمه الله وغيره من أهل العلم^(٢) .

٢ - جواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل:

ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس إذا تضمن بذلك إزالة توهم النقص عن الحاكي إذا كان بريئاً عند قصد نصح من يبلغه ذلك؛ لئلا يقع فيما وقع فيه من سبق، وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم وتحصيل الأجر للوقوع فيه^(٣) ، وهذا أخذ من خلال سرد عائشة رضي الله عنها لقصتها لمن رويها عنها .

(١) شرح النووي على مسلم ١١٨/١٧ .

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١١٨/١٧ ، فتح الباري ٨/ ٣٣٨ .

(٣) فتح الباري ٨/ ٣٣٧ .

٣ - توقف من اشتبه عليه الأمر في الكلام:

كما فعلت أم رومان زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنها حينما أحالت الكلام إلى أبي بكر رضي الله عنه، وتوقف النبي ﷺ عن الكلام فترة طويلة، حيث إن خطبته كانت في آخر أيام الحادثة، أي : بعد شهر تقريباً.

٤ - تسمية من يعرف من أصحاب القصص:

كالأنبياء وغيرهم ضمن الكلام ؛ لما في ذلك من الفوائد والتأسي بهم والإشارة إلى فضلهم^(١)، كما فعلت عائشة رضي الله عنها حين استشهدت بقول يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٨].

٥ - أن لا يتكلم الإنسان إلا بما يعلمه ويتحققه:

وهذا واقع الحادثة من أولها لآخرها، والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦].

٦ - من شارك في الكلام ولم يتكلم كان كمن تكلم:

فإن مسطح بن أثاثه رضي الله عنه ذكر اسمه مع من سمي من أهل الإفك، مع أنه لم يثبت أنه أفصح أو صرح ما يوجب عليه

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٥٣/٦ - ١٥٦، وفتح الباري ٨/ ٣٣٩.

الحد، وأقصى ما يتصور في موقفه أنه كان يسمع ويشارك بالكلمة المومنة من غير تصريح.

ويدل على ذلك أنه نفى عن نفسه أن يكون قال شيئاً، أي: تصريحاً، كما يدل عليه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ردّه على اعتذار مسطح بأنه لم يقل شيئاً: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل، فقال مسطح: إنما كنت أغشى مجالس حسان، فأسمع ولا أقول شيئاً.

قال القشيري فيما حكاه القرطبي: فأما مسطح فلم يثبت عنه قذف صريح، ولكنه كان يسمع ويشيع من غير تصريح، والذي كان في مجلس حسان رضي الله عنه إنما هو نوع من السمر والتضحك والتغامز بالأحداث التي تشغل المجتمع، ومع ذلك أثبت القرآن مشاركتها في الإفك^(١).

وهذه القاعدة الأصل فيها قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿[سورة النساء: ١٤٠].

(١) انظر: تفسير القرطبي ١٢/٢٠٧، ومحمد رسول الله ﷺ، للعرجون ٤/٢٣٢ - ٢٣٣.

٧ - مشروعية الاستشهاد بآيات القرآن الكريم في الحديث:
ولا خلاف في ذلك بين العلماء كما حكاه النووي عنهم^(١)،
وكما فعلت عائشة رضي الله عنها حين استشهدت بقول يعقوب
عليه الصلاة والسلام ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾
[سورة يوسف: ١٨].

٨ - مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب:
وتوجيهه أنه سبحانه وتعالى ينزه أن يحصل لقراءة رسول الله
ﷺ تدنيس، فيشرع شكره بالتنزيه في مثل هذا، كما نبه عليه الإمام
ابن العربي^(٢) رحمه الله، وهو ما وجه به القرآن في آيات الإفك:
﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا مُبْتَهَنٌ
عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٦]، وهو ما فعلته عائشة رضي الله عنها حينما
بلغها الخبر، فقالت: سبحان الله! وهل تكلم الناس بهذا.

٩ - مشروعية التورية في الحديث عند الحاجة لذلك:
والتورية هي: إظهار شيء والمراد غيره، وذلك لأن عائشة
رضي الله عنها استأذنت النبي ﷺ في زيارة أبيها ولم تُرد ذلك،

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١١٧/١٧، فتح الباري ٣٣٩/٨، حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ٨٣.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١١٧/١٧، فتح الباري ٣٣٩/٨، تفسير القاسمي ٤٤٦٣/٢.

وإنما أرادت أن تستيقن الخبر من قبلهما، وكذلك كان النبي ﷺ يفعل إذا أراد أن يخرج إلى جهة لغزوها أو مأ إلى غيرها، إلا في غزوة واحدة هي غزوة تبوك ؛ لبُعدها ، لكن يشترط في ذلك:

أ - أن تكون للحاجة.

ب - أن لا يقع للغير ضرر أو ممنوع شرعاً.

وإلا كانت من باب المكر والخديعة وهما لا يجوزان^(١)، وفي الحديث عنه ﷺ: «إن المكر والخديعة وصاحبهما في النار»^(٢).

١٠ - تقدم الكبير في الكلام^(٣)، وهو مأخوذ من تقديم عائشة رضي الله عنها لأبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الكلام في الرد على كلام النبي ﷺ عنها.

(١) انظر: حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ٨٣ - ٨٤، بريقة محمودية ٣/ ١٨١.
(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٢١ (٣٧٨): «رواه البزار، وفيه عبيد الله بن أبي حميد، أجمعوا على ضعفه». وقال ابن حجر في الفتح ٤/ ٣٥٦: «إسناده لا بأس به».

(٣) انظر: فتح الباري ٨/ ٣٣٩.

رابعاً: آداب الإمام والإمامة:

اشتملت حادثة الإفك على بعض آداب الإمام والإمامة، وهي:

١ - غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم واهتمامهم بذلك:

وهذا نابع من تلك المحبة المتبادلة بين الأمير العادل وبين رعيته ، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل يا رسول الله: أفلا ننبأهم بالسيف؟ فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولا تكم شيئاً تكرهونه، فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة»^(١)، وهذا الأدب مأخوذ من القصة من غضب الصحابة رضوان الله عليهم لما خطب فيهم النبي ﷺ في شأن الإفك^(٢).

٢ - مشروعية خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم:

وهي مأخوذة من خطبته ﷺ لما استفحل أمر الإفك.

(١) أخرجه مسلم، عن عوف بن مالك الأشجعي، كتاب الإمامة، باب خيار الأئمة وشرارهم برقم (١٨٥٥).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١٧/١١٧.

٣ - بيان آداب الخطبة:

كثرت الأحاديث الصحيحة والآثار المروية عن الصحابة والتابعين في أن الخطبة تبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه ، والصلاة على النبي ﷺ ، والشهادتين ، وقول أما بعد^(١) ، وهو ما فعله النبي ﷺ في خطبته في الإفك .

٤ - مشروعية اشتكاء ولي الأمر إلى المسلمين عن من تعرض له بالأذى في نفسه أو أهله أو غيره ، واعتذاره فيما يريد أن يؤذيه به ، كما فعل النبي ﷺ^(٢) .

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١١٧/١٧ - ١١٨ ، فتح الباري ٨/ ٣٣٨ .

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١١٧/١٧ .

خامساً : آداب المال :

١ - شؤم الحرص على المال :

وهو واضح جداً ، فإن عائشة رضي الله عنها لو لم تُطَل في التفتيش لرجعت بسرعة ، فلما زاد على قدر الحاجة ، أثر ما جرى ، وقريب منه قصة المتخاصمين ، حيث رفع علم ليلة القدر بسببهما ، فإنهما لم يقتصرا على ما لا بد منه ، بل زادا في الخصام حتى ارتفعت أصواتهما ، فأثر ذلك بالرفع المذكور^(١) .

٢ - صيانة المال ولو قل :

للنهي الوارد عن إضاعة المال ، فإن عقد عائشة رضي الله عنها لم يكن من ذهب ولا جوهر^(٢) .

٣ - من فقد شيئاً يرجع بفكره القهقري إلى الحد الذي

يتحقق وجوده :

ثم يأخذ من هناك في التنقيب عنه^(٣) ، وهو ما فعلته عائشة

(١) انظر : فتح الباري ٣٣٧/٨ ، والمراد : ما جاء في الحديث الذي فيه تحديد ليلة القدر في صحيح البخاري برقم (٤٩) ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، عن عبادة رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ خَرَجَ يُخَبِّرُ بِلَيْلَةِ الْقَدَرِ فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدَرِ وَإِنَّهُ تَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ التَّمَسُّوْهَا فِي السَّعِ وَالسَّعِ وَالْحُمْسِ » .

(٢) انظر : حديث الإفك ، لابن أبي جمرة ص ٣٩ ، والمرجع السابق .

(٣) انظر : فتح الباري ٣١٦/٨ .

رضي الله عنه في بداية القصة.

٤ - الحث على الإنفاق في سبيل الخير واستحباب الصدقة:

وهو مأخوذ من إحسان أبي بكر رضي الله عنه إلى مسطح رضي الله عنه^(١).

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٧/١١٨.

سادساً آداب المرأة:

اشتملت القصة على مجموعة من الآداب مع المرأة ، منها ما يتعلق بالتعامل مع المرأة ، ومنها ما يتعلق بالمرأة نفسها في تعاملها مع نفسها والرجال ، وهي :

١ - حسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء:

ولا سيما عند الخلوة بهن عند الضرورة في بريّة أو غيرها^(١) ، وهي مأخوذة من موقف صفوان بن المعطل رضي الله عنه مع عائشة رضي الله عنها لما وجدها تخلفت عن المعسكر النبوي ، ومعنى حسن الأدب هنا بغض النظر ، وقلة الكلام ، وقضاء الحاجة ، والستر على العيوب ، ونحو ذلك مما سيأتي:

٢ - المشي أمام المرأة لا بجنبها:

ليستقر خاطرها ، وتأمين مما يتوهم من نظره ، لما عساه ينكشف منها في حركة المشي^(٢) ، وهو من حسن الأدب مع المرأة كما سبق.

٣ - أن من يركب مع المرأة على بعير أو نحوه لا يكلمها إذا لم يكن محرماً:

إلا لحاجة؛ لأنهم حملوا هودج عائشة رضي الله عنها ، ولم

(١) انظر: المرجع السابق ١٧/١١٦ ، فتح الباري ٨/ ٣٣٧ .

(٢) فتح الباري ٨/ ٣٣٧ .

يكلموها، وهذا من أدب الأصحاب^(١) رضوان الله عليهم مع أمهات المؤمنين خاصة، ومع نساء المؤمنين عامة.

٤ - إذا خرجت المرأة لحاجتها يستحب أن تستصحب من يؤنسها:

أو يخدمها ممن يؤمن عليها ، كما فعلت عائشة رضي الله عنها^(٢) عند خروجها لقضاء حاجتها أثناء مرضها، وإذا خرجت لقضاء حاجتها لا تخرج إلا مستترة ، حيث كن يخرجن في الليل مستترات ؛ لأن الليل زيادة في الستر ، كما قال ابن أبي جمرة^(٣).

٥ - ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها:

كما فعل النبي ﷺ في تصرفه مع عائشة رضي الله عنها^(٤) من بداية القصة إلى نهايتها ، حيث لم يصدق ما قيل فيها ، وكان يدخل عليها ويتفقد أحوالها، ويسأل عنها، ويقضي حاجتها، إلى غير ذلك.

٦ - إدلال المرأة مع زوجها وأبويها:

كما فعلت عائشة رضي الله عنها مع أبويها وزوجها ﷺ^(٥).

(١) انظر : شرح النووي على مسلم ١١٦/١٧ .

(٢) انظر : فتح الباري ٣٣٧/٨ .

(٣) انظر : حديث الإفك ، لابن أبي جمرة ص ٧٨ .

(٤) انظر : شرح النووي على مسلم ١١٧/١٧ ، فتح الباري ٣٣٨/٨ .

(٥) انظر : فتح الباري ٣٣٩/٨ .

٧ - فضيلة الاقتصار في الأكل للنساء وغيرهن:

وأن لا يكثر منه بحيث يهبلن اللحم ؛ لأن هذا كان حالهن في زمن النبي ﷺ، وما كان في زمانه ﷺ فهو الكامل الفاضل المختار^(١)، وقد يقال غير هذا، لأن الهزال في النساء يكون عيباً في حقهن، ولهذا أخبرت عائشة رضي الله عنها أن نساء زمانها كن خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن اللحم، فلم تكن وحدها على هذه الصفة ، فلم يكن عيباً في حقها؛ لكونه عاماً لكل نساء زمانها^(٢).



(١) شرح النووي على مسلم ١١٦/١٧.

(٢) انظر: حديث الإفك ، لابن أبي جمة ص ٤٣ - ٤٤.

سابعاً : آداب قضاء الحاجة:

اشتملت القصة على جملة من آداب قضاء الحاجة، وهي:

١ - صيانة البلد عن الفضلات:

لأن عائشة رضي الله عنها أخبرت أنهم كانوا يخرجون إلى البرية لقضاء حاجة الإنسان على عادة العرب الأول؛ لتنزيه بلدهم عن فضلات الإنسان، فكانت بلدهم مصانة عن فضلات الإنسان^(١).

٢ - صيانة اللسان عن ذكر المستقذرات والمستخبثات:

وصيانة الكتابة في ذلك؛ لأنها كُتت عن ذكر قضاء الحاجة بقولها: قضيتُ شأني، وهذا في بداية القصة ، وعند مرضها قالت: متبرّزنا، ولهذا سمي الغائط غائطاً نسبة إلى المكان المنخفض من الأرض الذي كانوا يقضون حوائجهم فيه؛ إبلاغاً في الستر، فسموا الشيء بالموضع الذي يجعل فيه مجازاً لتنزيه كلامهم عن ذكر المستخبثات^(٢).

٣ - الخروج لقضاء الحاجة يكون بالبعد:

بحيث لا يسمع له صوت، ولا يرى له شخص؛ لأنها

(١) انظر تفصيل ذلك في: حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ٧٥ - ٧٧، فقد أفاض في ذلك وأجاد، وذكر محاسن هذا الأدب الإسلامي الرفيع.

(٢) انظر: حادثة الإفك، لابن أبي جمرة ص ٣٩ ، ٧٥.

أخبرت أنها جاوزت الجيش، وحينئذ قضت ما خرجت إليه^(١).

٤ - صيانة البيوت عن اتخاذ الكنف فيها:

لأنها قالت : قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا ، فأفاد ذلك أنهم حين أخذوا الكنف لم يتخذوها في البيوت ، ولكن اتخذوها خارجة عنها قريبة منهم ، ولأن الكنف موضع النجاسات ، وقد نهى عن الذكر فيها ، وقد أمر بالتعبد في البيوت ، فمنعت أن تكون في البيوت لأجل هذا المعنى^(٢) ، وربما يخضع هذا الأدب لحجم البيت وكبره ، وإمكانية اتخاذ الكنف بعيداً عن البيت.



(١) المرجع السابق ص ٣٤ .

(٢) حديث الإفك ، لابن أبي حمزة ص ٧٧ .

ثامناً: آداب الاستئذان:

اشتملت القصة على جملة من آداب الاستئذان ، وهي:

١ - الاستئذان عند الدخول:

لأن عائشة رضي الله عنها قالت: إذ استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنت لها.

وقد أمر الله في كتابه بذلك ^(١)، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [سورة النور: ٢٧].

وسيأتي في مبحث المسائل الفقهية مزيد لهذه الآداب ^(٢).

(١) المرجع السابق ص ١١٥.

(٢) انظر ص ٥٤.

تاسعاً : آداب التوبة:

شروط التوبة كما ذكرها العلماء هي أربعة:

١ - الإقلاع عن الذنب.

٢ - الندم عليه .

٣ - العزم على عدم العودة إليه.

٤ - رد الحقوق إلى أهلها^(١).

وهناك آداب للعاص والتائب ، أخذت من هذه القصة هي:

١ - وجوب التوبة من الذنوب والمعاصي:

وأنها تقبل من المعترف المخلص، وأن مجرد الاعتراف لا يجزئ فيها ، وأن الاعتراف بما لم يقع لا يجوز، ولو عرفت أنه يصدق في ذلك، ولا يؤخذ على ما يترتب على اعترافه، بل عليه أن يقول الحق أو يسكت^(٢).

وهذه مأخوذة من دخول النبي ﷺ على عائشة، وكلامه معها الذي تضمن أمرها بالتوبة إن حصل منها ذنب أو معصية^(٣).

(١) انظر: رياض الصالحين ص ٤١ - ٤٢، حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ١٣٣.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١١٧/١٧، حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ١٣١ - ١٣٤، فتح الباري ٨/٣٣٨ - ٣٣٩.

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم ١٧/٧٥، وصحيح ابن ماجه (٣٤٢٩)، ومدارج السالكين ، لابن القيم ١/١٨٢.

٢ - الواجب على المسلم المكلف في كل محرّم أن يستعظم الإقدام عليه:

لأنه لا يأمن أن يكون من الكبائر ، وقيل : إنه لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار^(١) . وقد استقى هذه الفائدة الإمام الرازي رحمه الله من قوله تعالى : ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٥] .

٣ - لا تحمل كل نفس إلا ما كسبت من الإثم:

ولا يكون لها إلا ما اكتسبت ، وقد استقى هذا المعنى الإمام ابن العربي رحمه الله من قوله تعالى : ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾^(٢) [سورة النور: ١١] .

٤ - سعة رحمة الله سبحانه وتعالى ، وعفوه عن المذنبين:

وفضله على عباده المؤمنين^(٣) ، وهذا واضح جداً من خلال سياق الآيات وأحداث القصة بأكملها ، وتكرر قوله تعالى فيها : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٠]^(٤) .

(١) انظر : تفسير الرازي ٢٣ / ١٨٠ .

(٢) أحكام القرآن ٣ / ٣٦٣ .

(٣) انظر الآيات من سورة النور ١٠ - ١٤ - ٢٠ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ١٩ / ٢٦٤ .

مما يشعر القارئ والمتأمل في هذه القصة الإحاطة الربانية بكل
دقائق القصة ، ونظرة الرحمة والإحسان على جميع المؤمنين بمن
فيهم من أخطأوا وتكلموا.

عاشراً: آداب الابتلاء والمصيبة:

يشرع لمن ابتلي بأي نوع من أنواع الابتلاء أو المصائب جملة من الآداب ، تطرقت الحادثة إلى ذكر جل هامة منها، ومن هذه الآداب التي استنبطها العلماء من حادثة الإفك:

١ - فضل الصبر واحتمال الأذى:

وحسن عاقبة وغبطة الصابرين على ذلك، والنصوص الواردة في هذا الباب كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٥] ^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠].

ومن الأحاديث ما رواه أبو سعيد وأبو هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ^(٢) ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها» ^(٣)، وما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب ، ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ، ثم

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ٣٣٩ .

(٢) النصب: التعب، والوصب: المرض.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المريض برقم (٥٦٤٠).

يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان، فيصّب عليهم الأجر صَبًّا، حتى إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض؛ من حسن ثواب الله «^(١)».

وقد كانت عاقبة صبر النبي ﷺ على ما أصابه وصبر زوجته عائشة رضي الله عنها محمودة بنزول الآيات بتبرئتها ورفع مكانته ﷺ ومكانتها وعلو قدره ﷺ وقدرها إلى غير ذلك مما تطرق إليه البحث وأهل العلم في هذا الباب .

٢ - الاسترجاع عند المصيبة:

كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٥، ١٥٦]، وهو ما فعلته عائشة رضي الله عنها حينما بلغها الخبر، وكذلك صفوان عند معرفته بتخلف عائشة عن الركب.

ولهذه الكلمة فائدة جاءت في حديث أم سلمة رضي الله عنها: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها، إلا أجره الله في

(١) رواه الطبراني في الكبير برقم (١٢٦٥٨)، ويشهد له حديث الترمذي: «يودُّ أهل العافية يوم القيامة حين يعطي أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض». جامع الترمذي، في جامع أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب القيامة وندامة المحسن والمسيء يومئذ، برقم (٢٤٠٢).

مصيبته، وأخلف له خيراً منها ، قالت (أي: أم سلمة) فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيراً منه، رسول الله ﷺ^(١).

٣ - فضل من يفوض الأمر إلى ربه^(٢):

كما فعل يعقوب عليه الصلاة والسلام حينما جاء خبر ضياع ابنه يوسف وبنيامين: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف: ٨٦]، وكما فعل مؤمن آل فرعون ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة غافر: ٤٤]، وهو ما فعلته عائشة رضي الله عنها، وكانت عاقبة يعقوب رجوع أبنائه ولمّ شملهم، ونجاة مؤمن آل فرعون، وتبرئة عائشة رضي الله عنها ورفع مكانتها.

٤ - الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرج:

كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الشرح: ٥، ٦]، وكتب أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر له جموعاً من الروم ويتخوف

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة برقم (٩١٨)،

وانظر: حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ٦٢.

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٣٣٩.

منهم ، فكتب إليه عمر بن الخطاب: «أما بعد: فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من مُنزَل شدة يجعل الله بعده فرجاً، وإنه لن يغلب عسر يسرين ...» ^(١)، ولهذا يحتاج المرء أن يستشعر هذه المسألة؛ لئلا يقع له الإياس والقنوط عند النوازل وكثرتها ^(٢).

٥ - معذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه:

كما حصل لعائشة رضي الله عنها لما جاءها الخبر وانزعاجها منه ^(٣).

٦ - التفجيع للمصاب:

لأنها رضي الله عنها قالت: فجلست تبكي معي، وذلك تفجيع ^(٤) من المرأة ^(٥)، وفي الحديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» ^(٦)، وفي الحديث الآخر: «مثل المؤمنين في توادهم

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد برقم (٩٦٢).

(٢) حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ١٤٠.

(٣) فتح الباري ٨ / ٣٣٩.

(٤) التفجيع، أي: التوجع مع المصاب. لسان العرب، مادة (فجع) بتصرف.

(٥) انظر: حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ١١٦.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً برقم (٦٠٢٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٥٨٥)، كلاهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى^(١).

٧ - التأسي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم:

في صبرهم على البلياء والمصائب^(٢)، كما تأست عائشة رضي الله عنها بيعقوب عليه الصلاة والسلام.

٨ - تبشير من تجددت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه بلية ظاهرة، والضحك والاستبشار عند ذلك.

٩ - تدريج من وقع في مصيبة، فزالت عنه؛ لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة، فيهلكه:

يؤخذ ذلك من ابتداء النبي ﷺ بعد نزول الوحي ببراءة عائشة رضي الله عنها بالضحك، ثم تبشيرها، ثم إعلامها ببراءتها مجملة، ثم تلاوته الآيات على وجهها. وقد نص الحكماء على أن من اشتد عليه العطش لا يمكن من المبالغة في الرّي في الماء؛ لئلا يفضي به ذلك إلى الهلكة، بل يجرع قليلاً قليلاً^(٣).

(١) أخرجه مسلم، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٠٨٦).

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٣٣٩.

(٣) فتح الباري ٨/ ٣٣٩.

حادي عشر: آداب زيارة المريض:

اشتملت الحادثة على جملة من آداب المريض، وهي:

١ - السؤال عن المريض:

كما كان النبي ﷺ يفعل وأبو بكر وزوجه مع عائشة رضي الله عن الجميع^(١).

٢ - لا ينبغي لأهل المريض أو زوّاره أن يُعلموه بما يؤذي باطنه أو يؤلمه:

لثلا يزيد ذلك في مرضه ، حيث كتم أمر الإفك عن عائشة رضي الله عنها طوال فترة مرضها، ولم تعلمه إلا بعد نقاقتها وكان ذلك عن طريق النساء^(٢).

٣ - تبشير المريض بالصحة والعافية وطول العمر:

لأن هذا أَدْعَى في شفائه واللف به؛ لأن عائشة رضي الله عنها قالت: لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنتُ أعهد منه حين أمرض، فأفاد ذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان له لطف زائد للمريض، وقد أمر النبي ﷺ أن يفسح للمريض في عمره، كما في حديث «إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله، فإن ذلك

(١) انظر: فتح الباري ٨ / ٣٣٧ .

(٢) انظر: حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ٦٥ ومابعده، فتح الباري ٨ / ٣٣٧ .

لا يرد شيئاً، ويطيب نفسه»^(١)؛ لأن مرض البدن هو الحسي، والنفس ترتاح إلى طول الحياة وتشتهي العافية، فإذا فسح لها في العمر حصل له راحة من المرض المعنوي لارتياح نفسه مما بها من غم المرض بما يقال له في ذلك، فقد يكون ذلك سبباً لحفة المرض عنه كما هو أيضاً بتغير باطنه يزيد المرض^(٢).

٤ - المريض لا يعاقب ولا يعاتب حتى يبرأ من مرضه:
وهو ما فعله النبي ﷺ مع عائشة رضي الله عنها، حيث لم يتكلم معها في أمر الإفك ولم يناقشه معها إلا بعد علمها ذلك بنفسها^(٣).
٥ - التبكير إلى المريض ممن يمرّضه لينظر في صالحه واللفظ له:

لأن عائشة رضي الله عنها قالت: فأصبح عندي أبوأي^(٤).

(١) الحديث أخرجه الترمذي في «الجامع»، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كتاب الذبائح، أبواب الطب عن رسول الله ﷺ برقم (٢٠٨٧)، وابن ماجه في «سننه»، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض برقم (١٤٣٨)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» برقم (١٤٦٠).

(٢) حديث الإفك، لابن أبي جمة ص ٧١، ٧٢ بتصرف.

(٣) انظر: حادثة الإفك، لابن أبي جمة ص ٦٣ وما بعده.

(٤) المرجع السابق ص ١١٥.

ثاني عشر: المناقب والفضائل:

١ - بشرية الرسول ﷺ وصدق نبوته ومكانته الرفيعة عند الله:

دلت هذه الحادثة على صدق النبي ﷺ في نبوته، فإن من كان من حاله كاذباً لا يمكن بحال من الأحوال أن يصبر شهراً على ما أصابه في عرضه دون أن يدافع أو يدعي نزول شيء عليه، ولكن الحقيقة تجلت للناس بهذه المحنة أن ظهرت بشرية الرسول ﷺ ونبوته، فعندما حسم الوحي اللغظ الذي دار حَوْلَ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عادت المياه إلى مجاريها بينها وبين الرسول ﷺ، وفرح الجميع بهذه النتيجة بعد تلك المعاناة القاسية، فدل ذلك على حقيقة الوحي، وأن الأمر لو لم يكن من عند الله لبقيت روايب المحنة في نفس الرسول ﷺ بصفة خاصة، ولانعكس ذلك على تصرفاته مع زوجته عائشة رضي الله عنها، وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلاً كبيراً على نبوة محمد ﷺ^(١).

وأيضاً فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله عن هذه القضية، ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والرد على أعدائه، وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه، بل يكون هو وحده المتولي لذلك الثائر لرسول الله ﷺ وأهل بيته.

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٤٤١ .

وجاء الوحي بما أقرّ عينه وسرّ قلبه، وعظّم قدره، وظهر لأُمته احتفال ربه به، واعتناؤه بشأنه^(١).

٢ - فضل أبي بكر ، وعائشة، ومسطح، وصفوان، وعلي، وأسامة، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وزينب بنت جحش رضي الله عنهم أجمعين^(٢).

وسياقي الكلام في الأحكام الفقهية عن براءة عائشة رضي الله عنها ، وعلوّ منزلتها ، وقد دلت هذه الحادثة على ذلك تماماً.

٣ - فضائل أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن:

اللاتي حماهن الله عن التكلم في محنة كهذه، وهن ضرائر عائشة رضي الله عنها وشريكاتها في القرب الداني من رسول الله ﷺ، وهن اللاتي كان يخشى عليهن من تحريش الغيرة أن تدفعهن أو بعضهن إلى التحدث فيما يحوم حول ذلك ، ولكن الله تعالى حفظهن جميعاً حفظاً لمقام حرم رسول الله ﷺ أن تظل عروشن بيوتهن في خلوتهن أو جلوتهن معه ﷺ؛ من لم تكن في أدبها النفسي وتدينها، ومراقبة ربها في ذروة السمو والفضل والشرف ومعالي مكارم الأخلاق، تأدّباً بأدب رسول الله ﷺ ونشأة على تنشئته لهن وتربيتهن بما يعصمهن عن الانزلاق إلى مزالق الباطل،

(١) زاد المعاد ٣/ ٣٦٢ - ٣٦٣ بتصرف .

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١٧/ ١١٧ - ١١٨ ، فتح الباري ٨/ ٣٣٨.

وتقوله على من يعرفن أنها أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وأعزهن عنده، وأعرفهن بمطارح أنظاره، وأسرعهن إلى التعلق بأسباب رضاه في كل ما تقر به عينه^(١).

٤ - فضل أهل بدر والذب عنهم:

كما فعلت عائشة رضي الله عنها في الذب عن مسطح بن أثاثه^(٢)؛ لأنه من أهل بدر، وقد قال الله فيهم: «اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم»^(٣)، وجاء في فضله زيادة على ذلك نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة النور: ٢٢]، فهذه تزكية لمسطح ولأهل بدر بشكل عام^(٤).

٥ - بشرية الصحابة رضوان الله عليهم ووقوع الأخطاء منهم:

وهذا لا ينقص من مكانتهم وفضلهم مع اعتقاد زهدهم وهمهم الدعوى، وغيرتهم على دينهم ومحارم رسول الله ﷺ، وقد

(١) محمد رسول الله ﷺ منهج رسالة بحث وتحقيق ٤/ ٢٣٨ - ٢٣٩ بتصرف يسير.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١٧/ ١١٧، وفتح الباري ٨/ ٣٣٨.

(٣) الحديث أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح برقم (٤٢٧٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة برقم (٤٤٩٤).

(٤) انظر تفصيل ذلك في حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ١٦٤ وما بعدها، تفسير الرازي ٢٣/ ١٩٠ - ١٩١، فتح الباري ٨/ ٣٣٨.

ذكرت ذلك آيات في كتاب الله منها: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

وقد ألفت في ذلك مجلدات ، وقد أشارت الحادثة إلى شيء من ذلك، وموافقهم في نصرة الدين، وعرض النبي ﷺ، حيث لم يتكلم إلا قلة قليلة في الحادثة، بسبب الغفلة والجهل، وسرعان ما تابوا ورجعوا إلى رشدهم والصواب.

المبحث الثالث:
الأحكام والمسائل الفقهية
التي اشتملت عليها حادثة الإفك
المطلب الأول:

براءة عائشة رضي الله عنها وتحريم الشك فيها
أو في أحد من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن،
وحكم ذلك.

كان حرياً بنا في هذا المبحث إفراده في فصل لوحده ؛ لأهميته
وخطورته ، وشناعة فعل من خاض في عرض النبي ﷺ باتهام
عائشة رضي الله عنها في عرضها ، بعد أن برأها القرآن الكريم .

الفرع الأول: براءة عائشة رضي الله عنها شرعاً وعقلاً:

لقد ثبتت براءة عائشة رضي الله عنها بنص القرآن والسنة
وإجماع أهل السنة .

- من القرآن:

فهذه الآيات التي نزلت في شأن الإفك واضحة الدلالة في
براءتها، حيث سماه الله إفكاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ
عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ [سورة النور: ١١] ، والإفك كما مر بنا هو: أشد أنواع

الكذب، فكيف يُسمَّى القرآن أمراً ما إفكاً وكذباً ، ثم يأتي من يزعم غير ذلك، لا شك أن هذا تكذيب صريح لنص القرآن الذي هو تكذيب لله سبحانه ، عالم السر والنجوى .

ثم إن البراءة جاءت صريحة في آخر الآيات بقوله تعالى:

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٦]، ومما جاء في تفسير الآية: ما رواه الطبري في تفسيره^(١): «أنها نزلت في عائشة رضي الله عنها حين رماها المنافق بالبهتان والفرية، فبرأها الله من ذلك، وكان عبد الله بن أبي هو خبيث، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة، ويكون لها، وكان رسول الله ﷺ طيباً، وكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، وكان أولى أن يكون لها الطيب: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾»، قال: ههنا برئت عائشة»^(٢).

والآية وإن جاءت في تفسيرها معنيان:

المعنى الأول: هو ما ذكرناه.

المعنى الثاني: أن الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات، والكلمات

(١) تفسير الطبري ١٨/١٠٨، وانظر: فتح القدير ٤/ ٢٠ - ٢١.

(٢) أخرجه الطبراني برقم (١١٢١٩)، ورجاله ثقات.

الطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس
للطيبين من الكلمات، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء
وأكثر المفسرين^(١).

ففي الآية على جميع الأقوال تغليب، أي: أولئك منزهون مما
يقوله أهل الإفك في حقهم من الأكاذيب الباطلة^(٢).

والمعنى الثاني يشير إلى أنه لا يتكلم بالخيثات إلا الخيثون من
الرجال والنساء، ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيبون من الرجال والنساء،
وهذا ذم للذين قذفوا عائشة بالخبث ومدح للذين برّأوها^(٣).

- ومن السنة:

فقوله ﷺ الموافق لآيات القرآن، كما جاء في الحديث: «فلما سُري
عن رسول الله ﷺ سُري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم
بها: يا عائشة أما الله عز وجل فقد برّأك»^(٤)، وجاء في رواية أخرى
عن عائشة رضي الله عنها: «فبينما هو جالس عندي إذ أنزل عليه
الوحي، فرفع رأسه وهو يمسخ عن جبينه، فقال: أبشري يا عائشة!
فقلت: بحمد الله عز وجل لا بحمدك، فقراً: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ﴾ [سورة النور: ٤] حتى بلغ: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا

(١) انظر: تفسير الطبري ١٨/١٠٨، تفسير ابن كثير ٣/٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢) تفسير الآلوسي ١٨/١٣١.

(٣) تفسير الهري ١٩/٢٧٤.

(٤) سبق تخريجه.

يَقُولُونَ ﴿[سورة النور: ٢٦]﴾ ^(١) . فبشرها ببراءتها وبين صريح القرآن براءتها في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ .

- ومن الإجماع:

فقد أجمع أهل السنة والجماعة على براءة عائشة رضي الله عنها، وسيأتي في مبحث حكم من تكلم في عرضها، تكفير العلماء للمتكلم في ذلك ^(٢) .

- ومن العقل:

١ - أن الله سبحانه وتعالى يمنع أن تكون زوجة رسوله

الكريم ﷺ المعصوم من يقع منها ذلك:

لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم، فوجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم، وكون الإنسان بحيث تكون زوجته مسافحة من أعظم المنفرات ^(٣) .

وهذا ما أراده المنافقون كما بينا في التمهيد، حيث إن الطعن في عرض النبي ﷺ سيكون من أعظم - إن لم يكن أعظم - أسباب ما يؤدي إلى فشل دعوته، وانصراف الناس عنه، ولا يحتاج

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند الأنصار، الملحق المستدرک من مسند الأنصار برقم (٢٤١٩٦) .

(٢) انظر: تفسير الرازي ٢٣/ ١٧٢، وتفسير القاسمي ١٢/ ٤٤٧٤ .

(٣) تفسير الرازي ٢٣/ ١٧٢ - ١٧٣ .

بكفر امرأتى نوح ولوط، فإن الكفر ليس كالفجور، عياداً بالله، كما قال الرازي^(١).

ونقل النووي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما «لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا إكرام من الله تعالى لهم»^(٢).

٢ - أن المعروف من حال عائشة ومقامها عند النبي ﷺ
أن لا يقع منها ذلك:

وهذا ما فعله أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه حين بلغه خبر الإفك، سأل زوجته: أكنتِ فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله! ما كنتُ لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك^(٣).

٣ - أن متولي هذه الفرية هم المنافقون وأتباعهم وليسوا المؤمنين، وكلام الأعداء لا يقبل في أعدائهم؛ لأنه مبني غالباً على الكذب والبهتان.

٤ - أن شأن من يفعل هذه الفعلة القبيحة أن يستر نفسه، لا أن يدخل المعسكر نهراً جهاًراً:

ولم يفعل ذلك صفوان رضي الله عنه إلا لغفلته وغفلتها عن أدنى تصوّر لرية قد تحصل لأحد من المسلمين في تصرفها هذا.

(١) المرجع السابق ١٧٣/٢٣ .

(٢) شرح مسلم للنووي ١١٧/١٧ - ١١٨ .

(٣) انظر: تفسير القرطبي ٢٠٢/١٢ .

٥ - أن الإنسان العامل صاحب المروءة لا يتصور منه يوماً أن يؤذي أخاه:

أو صديقه أو أمه ، فكيف يمكن أن يفعل ذلك صفوان رضي الله عنه بأمه وبزوجة نبيه ﷺ ، وهو الصحابي الجليل المعروف بفضله وإيمانه^(١) ، وقد زكاه النبي ﷺ بقوله: «ما علمتُ عنه إلا خيراً».

٦ - أن شأن الرجل الشهم صاحب المروءة لا يقبل أن تبقى معه امرأة مسافحة أو مشكوك في عفتها:

فكيف يقبل سيد الرجال وإمام المرسلين وأكرم الناس خلقاً وأعظمهم شأنًا أن يستبقي معه امرأة هذه أوصافها، وأن يمرض آخر أيامه في بيتها، ويموت بين سحرها ونحرها، كما جاء في الصحيح: «عن عائشة رضي الله عنها: توفي النبي ﷺ في بيتي وفي نوبتي، وبين سحري^(٢) ونَحْري^(٣)»، وجمع الله بين ريتي وريقه، قالت: دخل عبدالرحمن بسواك، فضعف النبي ﷺ عنه، فأخذته فمضغته، ثم سننته به^(٤).

(١) انظر ترجمته في الإصابة ، لابن حجر ٣ / ٢٥٠ .

(٢) السَّحْر: الرئة، أي: أنه مات وهو مستند إلى صدرها وما يحاذي سحرها منه، وقيل: هو ما لصق بالخلقوم . النهاية ٢ / ٨٧٥ .

(٣) النحر: هو أعلى الصدر . النهاية ٥ / ٦٠ .

(٤) أخرجه البخاري، في كتاب فرض الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ برقم (٣١٠٠) .

ومن طعن في عائشة فقد طعن في النبي ﷺ، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [سورة النور: ٣] ، وحاشا الرسول ﷺ وأفضل البشر وأطهرهم أن يكون على ما أرادته الجهلة وأهل الباطل .

إن الله سبحانه حكم في قرآنه أن الطيور على أشكالها تقع، وأن الطيب لا يقبل أن يعيش ويقترن إلا بالطيبين والطيبات، وكذلك العكس، فالخبث لا يقبل أن يعيش أو يقترن إلا بالخبثية أو الخبيثات، فكيف يُظن بأطيب الرجال وأكرم الرسل وأفضل الخلق، لن يبقى ويعيش ويموت مع خبيثة، سبحانه هذا إفك مبين ، وقد قال تعالى في هذا الشأن: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ [سورة النور: ٢٦].

٧ - نقل الإمام أبو زهرة رحمه الله أن صفوان بن المعطل كان حصوراً ليس له إرب في النساء :
فكيف يظن من هذا حاله أن يقع منه ما زعمه المنافقون، ولا ينافي هذا ما جاء في ترجمته بأنه كان متزوجاً ؛ لأن زواجه ربما كان بعد الحادثة ، كما ذكره ابن حجر العسقلاني^(١) .

(١) فتح الباري ٨/ ٤٦٢ ، باب قوله : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ، والإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٤١ .

الفرع الثاني: حكم من تكلم في عرض أم المؤمنين عائشة والوعيد الوارد في ذلك:

نقل النووي رحمه الله إجماع المسلمين على كفر وردّة من شك في براءة عائشة رضي الله عنها ؛ لأنها براءة قطعية بنص القرآن العزيز^(١) ، ووافقه على ذلك ابن العربي المالكي، وحكاه عن مالك؛ لأن ذلك تكذيب لصريح القرآن، ومن كذب الله فهو كافر^(٢) .

وروى هشام بن عمار قال: سمعتُ مالكا يقول: من سبَّ أبا بكر وعمر أدّب، ومن سبَّ عائشة قُتل؛ لأن الله يقول: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور: ١٧]، فمن سبَّ عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتل. ا.هـ . قال ابن عاشور: «يريد بالمخالفة: إنكار ما جاء به القرآن نصاً، وهو يرى أن المراد بالعود لمثله في قضية الإفك؛ لأن الله برّأها بنصوص لا تقبل التأويل، وتواتر أنها نزلت في شأن عائشة»^(٣) .

ووافقهم الكيا الهراسي^(٤) على ذلك وغيرهم من العلماء^(٥) .

(١) شرح مسلم للنووي ١١٧/١٧ .

(٢) انظر : أحكام القرآن ٣/٣٦٦ .

(٣) تفسير ابن عاشور ٩/١٨٣ .

(٤) انظر : أحكام القرآن ، للكياس الهراسي ٣/٣٠٨ .

(٥) انظر : تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٠/٢٩ ، وأحكام القرآن، لابن

العربي ٦/٤١ ، وأضواء البيان ، للشنقيطي ١/٤٤ .

ثانياً: الوعيد الشديد الوارد في من تكلم في عائشة رضي الله عنها:

قال الزمخشري رحمه الله، في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٣]: «لو فليت القرآن كله، وفتشت عما أوعده به العصاة ، لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها ، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفضاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة، وأساليب مفننة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها، حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً ، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهل له، حتى يعلموا عند ذلك ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [سورة النور: ٢٥]، فأوجز في ذلك وأشبع، وفصل وأجل، وأكد وكرر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه من الفظاعة، وما ذاك إلا لأمر، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان بالبصرة يوم عرفة، وكان يسأل عن تفسير القرآن، حتى سئل عن هذه الآيات، فقال: من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته، إلا من خاض في أمر عائشة، وهذا منه مبالغة

وتعظيم لأمر الإفك.

ولقد برّ الله تعالى أربعة بأربعة: برّاً يوسف بلسان الشاهد:
﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦] ، وبرّاً موسى من قول
اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ، وبرّاً مريم بإنطاق ولدها
حين نادى من حجرها: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [سورة مريم: ٣٠] ، وبرّاً عائشة
بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر، مثل هذه
التبرئة بهذه المبالغات، فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك، وما ذاك
إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ، والتنبيه على إنافَةِ محل سيد
ولد آدم، وخيرة الأولين والآخرين، وحجة الله على العالمين.

ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه ﷺ وتقدم قدمه وإحرازه
لقصب السبق دون سابق، فليتلّق ذلك من آيات الإفك، وليتأمل
كيف غضب الله له في حرمة، وكيف بالغ في نفي التهمة عن
حجابه...^(١).

ولابد أن نعلم هنا أن هذا الوعيد الذي جاء في سورة النور،
وتكلم عنه الزمخشري، ليس هو الوعيد الوحيد في هذا الشأن، بل
إن من فعل ذلك يناله أيضاً الوعيد فيمن أذى الله ورسوله، الوارد
في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

(١) تفسير الكشاف ٢/ ٣٨٠ - ٣٨١، وانظر كذلك: تفسير القاسمي ١٢/

وَالْآخِرَةَ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ [سورة الأحزاب: ٥٧].

وانظر التطابق في الوعيد بين آيتي النور والأحزاب المذكورتين ، فقد تطابقتا في اللعن في الدنيا والآخرة والعذاب العظيم والمهين لمن آذى الرسول ﷺ.

ولا ريب أن من تكلم في عائشة رضي الله عنها بسوء فقد آذى زوجها رسول الله ﷺ، ويناله الوعيد الوارد في الآيتين.

ثالثاً : فضل عائشة رضي الله عنها :

ذكر ابن تيمية رحمه الله أن أكثر أهل السنة يرون أن عائشة رضي الله عنها هي أفضل نسائه عليها السلام قال : « واحتجوا بما في الصحيحين ، عن أبي موسى وعن أنس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » ^(١) ، والثريد هو أفضل الأطعمة ؛ لأنه خبز ولحم ... وفي الصحيح عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : « قلت : يا رسول الله ! أي الناس أحبُّ إليك ؟ قال : عائشة ، قلت : من الرجال ؟ قال : أبوها ، قلت : ثم من ؟ قال : عمر ، وسمي رجالاً » ^(٢) .

وهؤلاء يقولون قوله عن خديجة : « ما أبدلني الله بخير منها » ، إن صحَّ فمعناه : ما أبدلني بخير لي منه ؛ لأن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقم غيرها فيه مقامها ، فكانت خيراً له من هذا الوجه لكونها نفعته وقت الحاجة ، لكن عائشة رضي الله عنها صحبته في آخر النبوة وكمال الدين ، فحصل لها من العلم والإيمان

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب فضل عائشة برقم (٣٤١١) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة رضي الله عنها برقم (٢٤٤٦) .

(٢) أخرجه مسلم ، في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي بكر برقم (٣٦٦٢) .

ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أول زمن النبوة ، فكانت أفضل بهذه الزيادة ، فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها ، وبلغت من العلم والسنة ما لم يبلغه غيرها، فخديجة كان خيرها مقصوراً على نفس النبي ﷺ لم تبلغ عنه شيئاً ولم تنتفع بها الأمة كما انتفعوا بعائشة رضي الله عنها...

وقد ثبت في الصحيح: «إن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة»^(١)، لما يعلمون من حبه إياها ، حتى أن نساء غرن من ذلك، وأرسلن إليه فاطمة رضي الله عنها، فقلن لها: نسألك العدل في ابنة أبي قحافة، فقال لفاطمة: «أي بنيّة ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى، قال: فأحبي هذه»، وهو في الصحيحين^(٢).

وفي الصحيحين أيضاً: «أن النبي ﷺ قال: يا عائش! هذا جبريل يقرأ عليك السلام، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا نرى»^(٣).

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة برقم (٣٧٧٥)، ومسلم، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة برقم (٢٤٤١).

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض برقم (٢٥٨١)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة برقم (٢٤٤٢).

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة برقم (٦٢٤٩)، ومسلم في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل

ولما أراد فراق سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها بإذنه ﷺ.

وكان في مرضه الذي مات فيه يقول: «أين أنا اليوم؟ استبطاءً ليوم عائشة، ثم استأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها، فمرض فيه، وفي بيتها توفي بين سحرها ونحرها، وفي حجرها، وجمع الله بين ريقه وريقها»^(١).

وكانت رضي الله عنها مباركة على أمتها، حتى قال أسيد بن حضير رضي الله عنه لما أنزل الله آية التيمم بسببها: «ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، ما نزل بك أمر قط تكرهينه إلا جعل الله فيه للمسلمين بركة»^(٢). وقد نزلت آيات براءتها قبل ذلك لما رماها أهل الإفك، فبرأها الله من فوق سبع سموات وجعلها من الطيبات^(٣).

ومما تميزت به عائشة رضي الله عنها عن سائر النساء ما أبانت

عائشة برقم (٢٤٤٢).

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته برقم (٤٤٣٨)، ومسلم، في كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر برقم (٢٤٤٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ برقم (٣٣٤)، وصحيح مسلم، كتاب الحيض، باب التيمم برقم (٣٦٧).

(٣) منهاج السنة ٣٠١/٤ وما بعدها بتصرف يسير.

به بنفسها عن نفسها أبلغ بيان، بأروع أسلوب، إذ تحدثت عن نفسها بعد أن برّأها الله تعالى، فقالت: «لقد أعطيتُ تسعاً ما أعطيتها امرأة إلا مريم بنت عمران، لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرةً وما تزوج بكرةً غيري، ولقد قبض ﷺ ورأسه لفي حجري، ولقد قبرته في بيتي، ولقد حفت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فيتفرقون عنه، وإن كان لينزل عليه وأني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة عند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً»^(١)، وفي بعض الروايات زيادة: «وكان لي يومين وليلتين، وكان لنسائه يوم وليلة»، «وكنت من أحب الناس إليه نفساً، وأحب الناس إليه أباً»^(٢)، وفي رواية: «ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه غيري»^(٣).

(١) أخرجه الآجري في الشريعة، كتاب جامع فضائل أهل البيت رضي الله عنهم، كتاب مذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، باب ذكر دفن النبي ﷺ في بيت عائشة برقم (١٧٩٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، باب الباء، ذكر أزواج رسول الله ﷺ منهن برقم (١٨٩٩١).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٣٨٩ برقم (٣٢٢٧٨)، باب ما ذكر في عائشة رضي الله عنها. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني برقم ٣١/ ٢٣ برقم (٧٧)، ورجال أحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح ٩/ ١٠٩ برقم (١٥٣٠٨).

وروى الإمام أحمد بسنده، عن ذكوان حاجب عائشة رضي الله عنها: «أنه جاء عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ليستأذن على عائشة، فجئتُ وعند رأسها ابن أخيها عبدالله بن عبدالرحمن، فقلت: هذا ابن عباس يستأذن، فأكبّ عليها ابن أخيها عبدالله، فقال: هذا عبدالله بن عباس يستأذن وهي تموت، فقالت: دعني من ابن عباس، فقال: يا أمتاه إن ابن عباس من صالح بنيك ليسلم عليك ويودعك، فقالت: ائذن له إن شئت، قال: فأدخلته، فلما جلس قال: أبشري، فقالت: أيضاً، فقال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً، وسقطت قلاذك ليلة الأبواء، فأصبح رسول الله ﷺ حتى يصبح في المنزل، وأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [سورة المائدة: ٦]، فكان ذلك في سببك، وما أنزل الله عز وجل لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل براءتك من فوق سبع سموات، جاء به الروح الأمين، فأصبح ليس لله مسجد من مساجد الله يذكر فيها الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، فقالت: دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لو ددت أني كنت نسياً منسياً^(١).



(١) أخرجه أحمد في مسنده، من مسند بني هاشم، مسند عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب برقم (٢٤١٨).

المطلب الثاني: المسائل الفقهية التي دلت عليها حادثة الإفك.

استنبط الفقهاء من حادثة الإفك مسائل فقهية كثيرة، وقد رأيت تقسيمها على أبواب الفقه؛ ليسهل الرجوع إليها دون أن أتعرض لتفصيل في ذلك خشية الإطالة^(١)، وأكتفي ببيان موضع الشاهد من الحادثة في المسألة، وهذه المسائل هي:

أولاً : أبواب المعاملات المالية:

١ - وجوب صيانة المال ولو قل:

دل على ذلك تفقد عائشة رضي الله عنها لعقدها مع قلة قيمته مادياً ، وقد أمرنا الله سبحانه بحفظ الأموال بقوله: ﴿وَلَا تَوْنُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [سورة النساء: ٥] ، ولنهى النبي ﷺ عن إضاعة المال، فعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه مرفوعاً: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»^(٢).

(١) انظر : حديث الإفك ، لابن أبي جرة ص ٢٩٣ ، وفتح الباري ٨ / ٣٣٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ﴾ النَّاسُ إِلْحَافًا﴾ برقم (١٤٧٧)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة برقم (٥٩٣).

٢ - استحباب صلة الأرحام والأقارب بالمال وإن كانوا سيئين:

أخذها العلماء من صلة أبي بكر لمسطح رضي الله عنهما^(١).

٣ - جواز إعطاء الزكاة للعصاة:

قال الإمام أبو زهرة: «وقد أخطأ في ذلك بعض الفقهاء، فإنها قد تمنعهم من كثير من الجرائم، وقد تدني قلوب العصاة، فإن الجفوة تولد الجرائم، والعطاء يرطب النفوس، فلا تجفوا وتحس بأن عيشها مؤتلفة الجماعة أدنى إلى الراحة»^(٢).

وقد استنبطه أبو زهرة من إعطاء أبي بكر لمسطح رضي الله عنهما مع وقوعه في من تكلموا في الإفك، وجاءت الآيات تعاتبه على عدم الإعطاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٢].

٤ - الأصل في عقود المسلمين الصحة من الفساد:

ولا يجوز حملها على الفساد وعلى ما لا يجوز فعله بالظن والحسبان^(٣)، وقد أخذ هذا من قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [سورة النور: ١٢].

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٧/١١٨، فتح الباري ٨/٣٣٩.

(٢) خاتم النبيين ٢/٧٣٦، وانظر تفسير القاسمي ١٢/٤٤٩٠.

(٣) انظر: أحكام القرآن، للجصاص ٣/٣٩٧، تفسير الرازي ٢٣/١٧٨.

ثانياً : باب الجهاد:

اشتملت حادثة الإفك على بعض الأحكام والآداب في باب الجهاد منها :

١ - فطنة الإمام عند الحادث المهم:

وهو أمر مطلوب من الأمير أو الإمام ؛ إذ إن من شروط الإمام أن يكون ذا رأي يفطن إلى سياسة الرعية وتدير مصالحهم، كما عبر عنه الإمام الماوردي رحمه الله^(١).

وهذه قد تجلت في سيد الأئمة عليه السلام حينما تعامل بحكمة وفطنة مع الحادثة، ولم يتصرف تصرفاً يفضي إلى وقوع الفتن والفساد في رعيته.

٢ - توقف رحيل المعسكر على إذن الأمير وأمره:

وهذا من لوازم الطاعة للأمير ، وهو ما فعله الصحابة عندما أمر النبي عليه السلام الجيش بالتحرك صباحاً، وقبل ذلك بعد قفولهم من غزوة المريسيع حينما شد بهم السير؛ لينسوا الفتنة التي أراد إثارتها عبدالله بن أبي بإثارة النعرة والعصية الجاهلية بين الصحابة رضوان الله عليهم.

٣ - على الإمام أو أمير الجيش أو صاحب رفقة إذا أراد السير أن يخبر من معه ويؤذنهم بذلك:

(١) انظر : الأحكام السلطانية ص ٣٢ ، فتح الباري ٨ / ٣٣٨ .

ثم يتربص عليهم قليلاً بقدر ما يقضون حوائجهم، وما يكون لهم من الضرورات، ويكون تربصه معلوماً؛ لأن التربص المجهول لا يتأتى للناس به منفعة حتى تكون مدة التربص معلومة، ويكون لوقت الرحيل أمانة غير الإذن الأول؛ لأنها أخبرت أنها لما سمعت الإذن بالرحيل قامت عند ذلك لقضاء شأنها، فلو عهدت منهم أن ذلك الإذن لنفس الرحيل، لم تكن لتخرج إذ ذاك^(١).

٤ - استعمال بعض الجيش ساقية يكون أميناً ليحمل الضعيف، ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح، كما فعل صفوان بن المعطل رضي الله عنه^(٢).

٥ - جواز تأخر بعض الجيش لحاجة ونحوها تعرض له عن الجيش إذا لم يكن ضرورة إلى الاجتماع: وهو مأخوذ من فعل صفوان وتأخر عائشة، حيث لم يعنّفهم النبي ﷺ على التأخر^(٣).

٦ - وجوب إغاثة الملهوف والمنقطع:

كما فعل صفوان مع عائشة، وإنقاذ الضائع^(٤).

(١) حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ٣٢ - ٣٣.

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٣٣٧.

(٣) انظر: شرح مسلم للنووي ١٧/ ١١٦.

(٤) انظر: شرح مسلم للنووي ١٧/ ١١٦، فتح الباري ٨/ ٣٣٧.

ثالثاً: باب النكاح وأحكام النساء:

١ - جواز السفر بالنساء في الغزو:

كما كان النبي ﷺ يفعل، وقد اصطحب معه عائشة رضي الله عنها في هذه الغزوة^(١).

٢ - جواز غزو النساء وإن لم يكن واجباً عليهن:

باتفاق العلماء^(٢)، ولعل الإمام النووي استنبطه من خروج عائشة مع رسول الله ﷺ وخروجها للجهاد لا بد أن يصحبه نوع من الجهاد كمعاونة المجاهدين، أو مداواة جرحاهم، أو حتى حمل السلاح رضي الله عنهم، كما جاء في «صحيح مسلم» أن رسول الله ﷺ كان يغزو بأُمّ سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوون الجرحى^(٣).

٣ - مشروعية القرعة بين النساء عند إرادة السفر بهن:

وهي في حقه ﷺ غير واجبة^(٤)، أما في غيره فهي واجبة عند

(١) انظر: شرح مسلم للنووي ١١٦/١٧، فتح الباري ٨/٣٣٧.

(٢) انظر: شرح مسلم للنووي ١١٦/١٧، بداية المجتهد ١/٤٤٢.

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء مع الرجال برقم (٨٠٩).

(٤) انظر: حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ٢٧، شرح مسلم للنووي ١١٦/١٧، فتح الباري ٨/٣٣٧.

أكثر العلماء لفعله ﷺ^(١) في هذه الغزوة وفي غيرها.

٤ - لا يجب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات:

في قول أكثر أهل العلم، وحكى بعضهم عدم الخلاف فيه، وذلك في السفر الطويل، واختلف العلماء في السفر القصير^(٢).

٥ - الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة:

وهو ما فعلته عائشة عند ركوبها فيه، والستر من خلاله^(٣)، ويمكن أن نقول: إن السيارة ونحوها في عصرنا الحاضر تأخذ الحكم نفسه، فيجب على المرأة أن تستتر من خلالها عن الرجال، ولا تكلف أن تستتر فيه^(٤).

٦ - جواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير:

ولو كان مما يشق عليه، حيث يكون مطيقاً لذلك^(٥)، كما فعلت عائشة رضي الله عنها.

٧ - جواز خدمة الرجال الأجانب للنساء وذلك يكون

(١) انظر: المغني ٢٥٢/١٠ - ٢٥٣.

(٢) انظر: شرح مسلم للنووي ١١٦/١٧، فتح الباري ٣٣٧/٨، المغني ٢٥٤ - ٢٥٣/١٠.

(٣) انظر: فتح الباري ٣٣٧/٨.

(٤) انظر: حادثة الإفك ص ٦٠ - ٦١.

(٥) انظر: حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ٣٠، فتح الباري ٣٣٧/٨.

من وراء حجاب:

كما فعل صفوان مع عائشة رضي الله عنها^(١).

٨ - جواز استخدام الخادم ولو من غير الرقيق:

وهذا واضح في القصة.

٩ - جواز تستر المرأة بالشيء المنفصل من البدن:

كالهودج الذي كانت عليه عائشة رضي الله عنها، ويجوز للأجانب لمسه لمفاصلته عن البدن^(٢).

١٠ - جواز تحلي المرأة في السفر كالخضر بقلادة ونحوها:

كما فعلت عائشة رضي الله عنها في سفرها^(٣)، وكان فقدان القلادة سبب تأخرها عن الجيش.

١١ - جواز خروج المرأة وحدها، لكن يشترط فيه أن

تأمن على نفسها الفتنة:

فإن توقعت شيئاً من الفتنة فلا يسوغ خروجها؛ لأن خروج عائشة رضي الله عنها كان مأموناً من ذلك^(٤)، ويستحب أن تكون

(١) انظر: شرح مسلم للنووي ١١٦/١٧، فتح الباري ٨/٣٣٧.

(٢) انظر: حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ٣٠، فتح الباري ٨/٣٣٧.

(٣) انظر: شرح مسلم للنووي ١١٦/١٧، فتح الباري ٨/٣٣٧.

(٤) حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ٣٣.

معها رفيقة تستأنس بها ولا يتعرض لها أحد^(١).

١٢ - جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن خاص من زوجها اعتماداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام: وهذا كما قال النووي من الأمور المستثناة^(٢)، لأن عائشة رضي الله عنها أخبرت أنها خرجت لما ذكرته، ولم تذكر أنها استأذنت النبي ﷺ في ذلك، فقد يحتمل أن النبي ﷺ أذن لها في ذلك أولاً بالاستصحاب، ويحتمل أن يكون ذلك سكوتاً عنه للعلم بحكم العادة^(٣).

١٣ - توقف خروج المرأة من بيتها على الأصل على إذن زوجها ولو كان بيت أبيها: كما استأذنت عائشة رضي الله عنها أن تزور والديها بعد علمها بخبر الإفك.

١٤ - جواز كلام المرأة للأجانب للضرورة: كما فعلت عائشة رضي الله عنها مع صفوان، حيث أبرك الجمل وركبت بدون كلام^(٤)، وهذا من حسن الأدب من النساء ومع النساء^(٥).

(١) انظر: شرح مسلم للنووي ١١٦/١٧، فتح الباري ٨/٣٣٧.

(٢) انظر: شرح مسلم للنووي ١١٦/١٧، فتح الباري ٨/٣٣٧.

(٣) حديث الإفك، لابن أبي جمة ص ٣٤.

(٤) انظر: شرح مسلم للنووي ١١٦/١٧، حديث الإفك، لابن أبي جمة ٦١ - ٦٢.

(٥) انظر المرجع السابق، فتح الباري ٨/٣٣٧.

١٥ - مشروعية تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي، سواء كان صالحاً أم غيره:
كما فعلت عائشة رضي الله عنها حين اقترب منها صفوان رضي الله عنها^(١).

١٦ - السنة للنساء لبس الطويل من الثياب:
لأن أم مسطح عثرت في مرطها، فلو كان قصيراً لم تكن لتعثر فيه، وذلك بخلاف لبس الرجال^(٢).

١٧ - حرمة الخلوة بالنساء ، وأن الخلوة للضرورة في برية أو نحوها جائزة:
كما فعل صفوان رضي الله عنه عندما مشى قدامها لا بجنبها ولا وراءها^(٣).

١٨ - من وجد رجلاً مع امرأة فاعترفا بالنكاح لا يجب تكذيبهما ، بل يجب تصديقهما:
لأن الأصل حسن الظن بالمسلمين، وحمل أمورهم على ما يجوز حمله، هذا عند الحنفية، ونقل الجصاص عن مالك أنه يجذّهما إن لم يقيما بينة على النكاح^(٤).

(١) انظر: شرح مسلم ، للنووي ١٧/١١٦، وفتح الباري ٨/٣٣٧.

(٢) حديث الإفك ص ٨٢ بتصرف يسير.

(٣) انظر: شرح مسلم للنووي ١٧/١١٦، فتح الباري ٨/٣٣٧.

(٤) انظر: أحكام القرآن ، للجصاص ٣/٣٩٧.

رابعاً: باب الأيمان:

اشتملت حادثة الإفك على جملة من مسائل الأيمان، وهي:

١ - جواز القسم بلفظ لعمر الله^(١):

حيث تكرر القسم بها من سعد بن عباد وأسيد بن حضير أمام النبي ﷺ، ولم ينكر عليهما.

ومعنى هذه الكلمة: الحلف ببقاء الله تعالى وحياته، يقال: العُمُر والعُمُر واحد، وقيل: معناه وحق الله، وقد ثبت لهذه الكلمة عرف الشرع والاستعمال^(٢)، كما قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة الحجر: ٧٢].

٢ - جواز الحلف من غير استحلاف:

وشاهده القصة كلها، وما حصل من حوار بين سعد بن عباد وأسيد بن حضير رضي الله عنهما^(٣).

٣ - اليمين لا تحرم ولا تحرم:

بمعنى أنها لا تحرم الحلال^(٤)، وقد ذكر هذا الضابط الزركشي في قواعده، وحكى الخلاف فيها عن أبي حنيفة في أنها تحرم

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ٣٣٨.

(٢) المغني ١٣/ ٤٥٥ بتصرف يسير.

(٣) انظر: شرح مسلم للنوي ١٧/ ١١٧.

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي ٣/ ٣١٠.

المحلوف عليه^(١).

وقد أخذ هذا الضابط من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة النور: ٢٢]، فلم تحرم يمين أبي بكر رضي الله عنه الخير الذي كان يسديه إلى مسطح، حيث ندبه القرآن إلى العودة إلى الإنفاق عليه، ومن حديث النبي ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليأتها وليكفر عن يمينه»^(٢).

٤ - من حلف على شيء ألا يفعله من الخير من السنن أو المندوبات استحباب له الحنث ويكفر عن يمينه:

للآية والحديث السابقين^(٣). وهو ما فعله أبو بكر رضي الله عنه مع مسطح في قصة الإفك، قال ابن الفرس المالكي: «وفي هذا دليل بطلان قول أبي حنيفة في أن الأيمان تحرم، وأن الكفارة وجبت لكون المحلوف عليه محرماً بحكم يمينه، وهذا أبين في المعنى، وقد قال قوم: إنه إذا حلف فلا كفارة، كفارته أن يفعل ما هو خير،

(١) انظر: المنشور، للزركشي ٣/ ٣٨٧ (يمين).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها برقم (٣١٩٨).

(٣) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي ٣/ ٣٦٨، شرح مسلم للنووي ١١٨/ ١٧، أحكام القرآن، للجصاص ٣/ ٣٩٩، فتح الباري ٨/ ٣٣٩، تفسير الآلوسي ٢٣/ ١٩١، تفسير سورة النور، للمودودي ص ١٣٦.

وهذا بعيد، وقد قال ﷺ: «فليفعل الذي هو خير، وليكفر عن يمينه»^(١) «^(٢)» .



-
- (١) أخرجه مالك في الموطأ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، كتاب النذور والأيمان ، باب ما تجب فيه الكفارات من الأيمان .
- (٢) أحكام القرآن ، لابن الفرس ٣/ ٣٥٤ ، وانظر : أحكام القرآن ، للكبيا الهراسي ٤/ ٣١٠ .

خامساً: باب القضاء

اشتملت حادثة الإفك على جملة من مسائل القضاء والشهادات، وهي:

١ - ليس للحاكم أن يحكم لنفسه ولا بعلمه، وله أن يشهد به عند غيره من الحكام:

وذلك استنباطاً من فعله ﷺ، حيث إنه يعلم من أهله الخير والصلاح، وقد شهد له علي وأسامه وبريرة بذلك تأكيداً لما كان يعلم هو في نفسه، فلم يحكم هو ﷺ بذلك، وشهد به عنده الغير لكي يحكم له به^(١).

وهذه المسألة ليست محل اتفاق بين العلماء، حيث حكى ابن قدامة رحمه الله عن أحمد في إحدى الروايتين عنه، وأحد قولي الشافعي، وهو اختيار المزني، وقول أبي يوسف وأبي ثور: أنه يجوز للحاكم أن يحكم بعلمه^(٢).

٢ - منع الحكم في حالة الغضب:

وذلك لما بدا من أن سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عباد رضي الله عنهم من قول بعضهم لبعض حالة الغضب، حتى كادوا يقتتلون.

(١) حديث الإفك، لابن أبي حمزة ص ١٠١.

(٢) انظر المغني ١٤ / ٣٠ - ٣١.

قال أبو علي الكرابيسي من أصحاب الشافعي: فإن الغضب يخرج الحليم المتقي إلى ما لا يليق به، فقد أخرج الغضب قوماً من خيار الأمة بحضرة رسول الله ﷺ إلى ما لا يشك أحد من الصحابة أنه منهم زلة، ونقل بعض المتأخرين رواية عن أحمد في ذلك، ولم تثبت^(١).

وجاء عن النبي ﷺ: «لا يقضي حكم بين اثنين وهو غضبان»^(٢).



(١) انظر: فتح الباري ٨/ ٣٣٩ .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه »، كتاب الأحكام ، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان برقم (٧١٥٨) ، ومسلم في « صحيحه »، كتاب الأفضية ، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان برقم (١٧١٧) .

سادساً: باب الشهادات:

اشتملت حادثة الإفك على مسائل في باب الشهادات، هي:

١ - التثبت في الشهادة وقبولها ممن لم تظهر منه ريبة:
فالأصل في المسلمين أنهم عدول؛ لأننا مأمورون بحسن الظن
فيهم^(١)، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأْنَفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور: ١٢].

٢ - توقيف من نقل عنه ذنب على ما قيل فيه بعد البحث
عنه في الشهادة أو ردّها:

وهو ما فعله النبي ﷺ حينما بلغه أمر الإفك، وشاور أصحابه
فيه، ولم يتخذ في ذلك قراراً أو حكماً^(٢).

٣ - استصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك
معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك^(٣).

٤ - أن من بحث عن حال شخص اتهم بشيء، وحكى ما
قيل فيه للكشف عن أمره لا يعد ذلك غيبة:

كما فعل النبي ﷺ حينما سأل بريرة رضي الله عنها عن حال

(١) انظر: تفسير الرازي ١٧٨/٢٣، أحكام القرآن، للجصاص ٣/٣٩٧،

شرح مسلم للنووي ١١٨/١٧، فتح الباري ٨/٣٣٨.

(٢) انظر: تفسير الرازي ١٧٨/٢٣، فتح الباري ٨/٣٣٨.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/٣٣٧.

عائشة رضي الله عنها^(١).

٥ - لا يجوز الإخبار في الشهادة إلا بعلم:

وهو مأخوذ من سياق الآيات^(٢)، ومن قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا مُبْتَنًى عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٦].

٦ - جواز استعمال: «لا نعلم عنه إلا خيراً» للتزكية:

وهو كاف في حق من سبقت عدالته ممن يطلع على خفي أمره^(٣)، وهو مأخوذ من تزكية النبي ﷺ لصفوان بقوله: «لا نعلم عنه إلا خيراً»، مما يدل على قبول هذه العبارة في التزكية للمسلم العدل.

٧ - من ارتكب كبيرة ثم تاب منها، فإن ذلك لا ينقص من قدره:

فإن مسطحاً رضي الله عنه حينما شارك في الإفك، والقذف من الكبائر، لكنها لا تجبب الأعمال، ولا تخرج صاحبها من الإسلام، وتاب منه، وحُدَّ لذلك، ونزلت الآيات بتزكيته بالإيمان والهجرة^(٤)،

(١) انظر: المرجع السابق ٨/٣٣٧.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٢٣/١٧٩.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/٣٣٨.

(٤) انظر: تفسير القرطبي ١٢/٢٠٨، وتفسير سورة النور للشنقيطي ص ٦٤، ٧٩.

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٢].

٨ - على المسلم أن يرد عن نفسه إن كان قادراً على ذلك، وإلا فالصبر حتى يبرئه الله:

كما فعلت عائشة رضي الله عنها حينما بلغها الخبر، وجاءها النبي ﷺ يستنبئها عن حقيقة الأمر^(١).

٩ - جواز تزكية الإنسان نفسه للمصلحة:

كأن يرد عن نفسه أو للإخبار عن حال معينة^(٢)، كما فعلت عائشة في سياقها لحديث الإفك.

١٠ - جواز تعديل النساء بعضهن بعضاً:

وهو مأخوذ من تزكية عائشة لزَيْنَب وتزكية زَيْنَب لعائشة^(٣)، وقد أخذ به أبو حنيفة، ويروى عن أحمد مثله، وجهور العلماء على خلاف ذلك^(٤).

(١) انظر: حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ٤٣، ٤٦.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٤٦ - ٤٧.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ١٠١، فتح الباري ٥/ ٣١٩، ٣٢٣.

(٤) انظر: المغني ١٤/ ٥٠.

سابعاً: أبواب الحدود:

اشتملت حادثة الإفك على جملة من مسائل أبواب الحدود، هي:

١ - الواجب على المكلف في كل محرّم أن لا يرتكبه ؛ لأنه لا يأمن أن يكون من الكبائر:

وقد قيل: لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار^(١)، وذلك مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٥].

٢ - وجوب احترام القوانين الشرعية في الحضرة والغيبة والعلائية والسر^(٢):

وهو تابع لما قبله ، ولأن الأوامر الشرعية جاءت بالأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وتعظيم شعائر الله وأحكامه، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ءَأْتَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقَوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج: ٣٢]، وقوله تعالى:

(١) انظر : تفسير الرازي ٢٣ / ١٨٠ .

(٢) انظر : تفسير ابن عاشور ٩ / ١٧٩ .

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]، وقوله تعالى:
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٢٩].

٣ - تعظيم حرمة المؤمن ووجوب ستره وعدم هتكه
وعظم ذنب من رمى مسلماً بشيء ليس فيه في الدنيا
والآخرة^(١):

ويدل على ذلك سياق الآيات الواردة في الحادثة.

٤ - استحباب العفو والصفح عن المسيء:

كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ
يُؤْتُوا أُولِي الْقَرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا
أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٢].

لا سيما إن كان هذا المسيء ممن له قدم سبق وفضل في الدين،
كما حصل لعائشة مع مسطح ، حين دافعت عنه لشهوده بدمراً^(٢).

٥ - جواز سب من يتعرض للباطل ونسبته إلى ما يسوءه:

وإن لم يكن ذلك في الحقيقة فيه ، لكن إذا وقع منه ما يشبه
ذلك جاز إطلاق ذلك عليه تغليظاً له^(٣).

(١) انظر: تفسير القرطبي ٢٠٦/١٢، حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ٧٨،
تفسير القاسمي ٤٤٧٣/١٢.

(٢) انظر: شرح مسلم للنووي ١١٨/١٧، تفسير الرازي ١٩١/٢٣، فتح الباري ٨/٣٣٩.

(٣) فتح الباري ٨/٣٣٨.

وهو مأخوذ من المشاجرة التي وقعت بين سعد بن عباد
وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهم حينما قال أسيد بن
حضير لسعد بن عباد - يردّ عن عبدالله بن أبي ابن سلول: كذبت
لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، والرسول ﷺ
يسمع، ولم يعنّف أو يمنع أحداً منهم ، فدل على المسألة.

٦ - جواز لعن من كان أهلاً لذلك:

قال الإمام الغزالي رحمه الله : الصفات المقتضية للعن ثلاث:
الكفر ، البدعة ، والفسق ، وله في كل واحدة ثلاث مراتب:
الأولى : اللعن بالوصف الأعم ، كقولك: لعنة الله على
الكافرين أو المبتدعة أو الفسقة.

الثانية : اللعن بأوصاف أخص منه، كقولك: لعنة الله على
اليهود والنصارى، أو على القدرية والخوارج والروافض، أو على
الزناة والظلمة وآكلي الربا، وكل ذلك جائز، ولكن في لعن بعض
أصناف المبتدعة خطر؛ لأن معرفة البدعة غامضة، فما لم يرد فيه
لفظ ماثور ينبغي أن يمنع منه العوام؛ لأن ذلك يستدعي المعارضة
بمثله، ويشير نزاعاً وفساداً بين الناس.

والثالثة : اللعن على الشخص، فينظر فيه ، إن كان ممن ثبت
كفره شرعاً فيجوز لعنه إن لم يكن فيه أذى على مسلم ، كقولك:
لعنة الله على النمرود وفرعون وأبي جهل؛ لأنه ثبت أن هؤلاء ماتوا
على الكفر، وعرف ذلك شرعاً.

وإن كان ممن لم يثبت حال خاتمته بعد، كقولك: زيد لعنه الله، وهو يهودي أو فاسق، فهذا فيه خطر؛ لأنه ربما يُسلم أو يتوب فيموت مقرّباً عند الله تعالى: فكيف يحكم بكونه ملعوناً^(١). وأخذت هذه المسألة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٣].

٧ - جواز إطلاق الكذب على الخطأ:

حيث سمى الله من لم يأت بالبينّة وهي أربعة شهود على من قذف أحداً بأنه كاذب^(٢)، وذلك في قوله تعالى:

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [سورة النور: ١٣]، أي: في حكم الله، وإن كان صادقاً لعجزه عن إقامة البينة، كما قال القرطبي رحمه الله^(٣).

٨ - الإنسان مؤاخذ على أعماله السيئة الباطنة، كالحقد والحسد ومحبة شيوع الفاحشة في المجتمع المسلم^(٤):

(١) تفسير الهري ١٩/٢٧٣ - ٢٧٤.

(٢) انظر: أحكام القرآن، للكنيا الهراسي ٣/٣٠٨، الكشف ٢/٣٧٨، أحكام القرآن، لابن العربي ٣/٣٥٣.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ١٢/٢٠٣.

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي ٣/٣٦٥، تفسير الآلوسي ١٨/٢٢، تفسير القاسمي ١٢/٤٤٨٦ - ٤٤٩٠.

حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النور: ١٩].

وعذاب الدنيا قد يكون بالحدّ إذا انطبقت شروطه، كما فسرّه ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبیر رحمه الله، وقد يكون بالبلاء كالشلل والعمى ، وأما في الآخرة فهي النار ونحوها عياداً بالله^(١).
فدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين، كوجوب كف الجوارح والقول عما يضرهم^(٢).

٩ - حرمة إشاعة الفاحشة ، وعدّها بعض العلماء من الكبائر^(٣):

وألفاظ القرآن شاملة لجميع صور إشاعة الفاحشة والانحلال الخلقي، وتتبع خطوات الشيطان تؤدي إلى الفاحشة؛ لقوله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة النور: ٢١]، وفيه إشارة إلى أن محبة تتبع خطوات الشيطان قد تؤدي إلى محبة إشاعة الفاحشة^(٤).

(١) انظر: تفسير الآلوسي ١٨/١٢ - ١٢٣ بتصرف.

(٢) تفسير الهري ١٩/٢٦٣.

(٣) انظر: أحكام القرآن ، للجصاص ٣/٣٩٩.

(٤) انظر: تفسير القاسمي ١٢/٤٤٨٨ - ٤٤٨٩.

وإشاعة الفاحشة تنطبق على إنشاء دور للفاحشة والبغاء وما يرغب الناس فيها، ويشير غرائزهم الدنيئة، من القصص والروايات والأشعار والغناء والصور والألعاب والمسارح والسينما، كما هي تنطبق كذلك على المجالس والنوادي والفنادق التي يعقد فيها الرقص والطرب، يشترك فيه الرجال والنساء على صورة خليعة مختلطة^(١).

١٠ - من أذى النبي ﷺ بقول أو فعل يكفر ويقتل:

لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك، ولم ينكره النبي ﷺ^(٢).

١١ - وجوب إقامة الحد لمن ثبت عليه، ولا يجوز تأخيره

إلا لمصلحة يراها الإمام:

كخشية وقوع الفتنة، كما فعل النبي ﷺ حينما أقامه على مَنْ تكلموا، ولم يُقِمه على عبدالله بن أبي ابن سلول لهذا السبب، وقال بعض العلماء: لأنه لم يثبت شرعاً أنه تكلم فيه، وقيل غير ذلك^(٣).

١٢ - التأكيد على حدّ القذف، وهو جلد ثمانين جلدة:

كما جاء في مقدمة السورة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ

(١) تفسير سورة النور، للمودودي ص ١٣٣.

(٢) فتح الباري ٨/ ٣٣٨، وانظر: أحكام القرآن، لابن العربي ٣/ ٣٦٦.

(٣) انظر: زاد المعاد ٣/ ٢٦٣ - ٢٦٤.

شَهَدَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ [سورة النور: ٤ ، ٥]، وجاء تأكيدها تطبيقاً على الحادثة في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [سورة النور: ١٣].

ولشبوت الحد شروط ذكرها العلماء، ليس هنا مجال استيفائها^(١).

١٣ - لا يحكم بالظن في حد القذف:

وهو واضح جداً في سياق الآيات التي نزلت في حادثة الإفك^(٢).

١٤ - لا يقبل في إثبات الزنا أقل من أربعة شهود بشروط وضوابط معينة حددها الشارع الحكيم^(٣):

وهو مأخوذ من سياق الآيات أيضاً، ومن قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [سورة النور: ١٣].

(١) انظر: تفسير القرطبي ٧٣/١٢ ، ٢٠٣ ، أحكام القرآن، للكنيا الهراسي ٢٩٨/٣ .

(٢) انظر: أحكام القرآن ، للكنيا الهراسي ٣/٣٠٨ ، تفسير القاسمي ١٢/٤٤٧٣ .

(٣) انظر: المغني ١٢/٣٦٢ وما بعدها، وتفسير سورة النور، للمودودي ص ٥١ وما بعدها.

١٥ - إقامة الحدود سبب للتوبة والرحمة^(١) :

وهو مأخوذ من رواية إقامة النبي ﷺ الحد على مسطح، ثم ما نزل من الآيات في مغفرة الله له وللآخرين ، وقد تكررت عدة مرات في خواتيم الآيات : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور: ١٤] ، ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النور: ٢٠] .

ومسألة هل الحدود كفارات أم غير ذلك؟ هي محل خلاف بين العلماء، تراجع في مظانها^(٢) .

(١) انظر : حديث الإفك ، لابن أبي جمرة ص ١٦٥ .

(٢) انظر : الموسوعة الفقهية ، مادة (حدود) .

المبحث الرابع: المسائل الأصولية التي دلت عليها حادثة الإفك

تمهيد:

استنبط العلماء من حادثة الإفك جملة من مسائل وقواعد أصول الفقه وما يتعلق بمقاصد الشريعة تكاد تنحصر في أربعة مباحث من مباحث علم الأصول هي:

١ - السنة وقبول الأخبار.

٢ - الأدلة المختلف فيها.

٣ - الاجتهاد.

٤ - مقاصد الشريعة.

وهذا ما يقتضي جعلها في ثمانية مطالب هي:

المطلب الأول: مباحث السنة وقبول الأخبار

ويتضمن المسائل التالية:

١ - جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة، عن كل

واحد قطعة مبهمة منه بالإجماع:

كما حكاه النووي رحمه الله مع كونه من فعل الزُّهري وحده في حديث الإفك^(١).

(١) انظر : شرح مسلم للنووي ١٧/١١٦، فتح الباري ٨/٣٣٧.

٢ - الأصل في المسلم العدالة:

ومن كان ظاهره العدالة فلا يظن به إلا خيراً^(١)، ولا يظن به شراً، وذلك يوجب التزكية وقبول الشهادة ما لم تظهر منهم ريبة توجب التوقف عنها أو ردّها، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [سورة النجم: ٢٨]، وقال النبي ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»^(٢).

وقد أخذ هذا الأصل العلماء من قوله تعالى في آيات الإفك: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور: ١٢].



-
- (١) انظر: أحكام القرآن، للجصاص ٣/٣٩٧، تفسير القرطبي ١٢/٢٠٣، تفسير الرازي ٢٣/١٧٣، حديث الإفك، لابن أبي جرة ص ١٠٣، ١٠٨، ١٣٦، تفسير الآلوسي ١٨/١١٥، تفسير ابن عاشور ٩/١٧٦.
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير برقم (٦٠٦٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن برقم (٢٥٦٣).

المطلب الثاني: خبر الواحد وما يتعلق به من مسائل
خبر الواحد هو: ما لا ينتهي من الأخبار إلى حد التواتر،
المفيد للعلم^(١).

١ - التوقف في خبر الواحد ولو كان صادقاً^(٢):

وذلك أن من وقعت به نازلة وهي محتملة للصدق والكذب، فلا يعجل فيها، وليثبت حتى يستيقن ذلك بالفحص عنه، ويعلم وجه الصواب فيها؛ لأنها لما أخبرتها أم مسطح بما قيل فيها، لم تثق بقولها حتى مضت واستيقنت الخبر من قبل أمها، فوجدت الأمر كما قيل لها، وإن كان خبر الواحد معمولاً به على المشهور من الأقاويل، لكن ذلك في الدين، وأما في النوازل فخبر الواحد فيه سبب للفحص والبحث في النازلة حتى يتبين فيها الضعف أو التحقيق^(٣).

٢ - خبر الواحد إذا جاء بعد شيء أفاد القطع:

لقول عائشة رضي الله عنها: «لأستيقن الخبر من قبلهما»، وأن ذلك لا يتوقف على عدد معين^(٤).

(١) المستصفي ١/ ٢٧٢ .

(٢) فتح الباري ٨/ ٣٣٨ .

(٣) حديث الإفك ، لابن أبي جمرة ص ٨٤ - ٨٥ .

(٤) فتح الباري ٨/ ٣٣٨ .

٣ - طلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين^(١) :

وهو مستفاد مما سبق الإشارة إليه في المسألة السابقة.

٤ - إطلاق الظن على العلم^(٢) :

وذلك مأخوذ من قولها في بداية القصة: «فيرجعون إليّ»، قال القاضي عياض: الظن هنا بمعنى العلم، وتُعقب باحتمال أن يكون على بابه، فإنهم أقاموا إلى وقت الظهر ولم يرجع أحد منهم إلى المنزل الذي كان به ، ولا نقل أن أحداً لاقاها في الطريق ، لكن يحتمل أن يكونوا استمروا في السير إلى قرب الظهر، فلما نزلوا إلى أن يشتغلوا بحط رحالهم وربط رواحلهم واستصحبوا حالهم في ظنهم أنها في هودجها، لم يفتقدوها إلى أن وصلت على قرب ، ولو فقدوها لرجعوا كما ظنته، وأرادت بمن يفقدها من هو بسبب، كزوجها أو أبيها، والغالب الأول؛ لأنه من شأنه ﷺ أن يساير بغيرها ويتحدث معها، فكأن ذلك لم يتفق في تلك الليلة، ولما لم يتفق ما توقعته من رجوعهم إليها ، ساق الله إليها من حملها بغير حول منها ولا قوة^(٣) .

(١) المرجع السابق ٣٣٨ / ٨ .

(٢) فتح الباري ٣٣٨ / ٨ .

(٣) فتح البازي ٣١٦ / ٨ - ٣١٧ .

٥ - بقاء الإنسان في المقطوع فيه خير من بقاءه في المحتمل :

وهو مأخوذ من قصد عائشة رضي الله عنها لما تأخرت عن الركب موضع هودجها، فأقامت به، وهذا مما يشهد لنبلها في أمورها مع أنها كانت صغيرة السن؛ لأنها لو لم تقعد بموضعها ذلك، وسارت في طلب القوم لاحتمل أن تصيب طريقهم أو تحود عنه ، فإن حادت عنه فتهلك وتلف نفسها ومقامها بموضعها تقطع فيه بأنهم يرجعون إليها بذلك الموضع، فلما احتمل سيرها في أثر القوم الإتلاف أو التلاقي، ومقامها بموضع يقطع فيه بالتلاقي، فعلت ما يقطع فيه بالنجاة وتركت المحتمل^(١).

وقد روى لي بعضهم قصة حصلت مع عائلة توقفت في إحدى الطرق البرية ليلاً لقضاء الحاجة، وكانوا في سيارتين، فنزلت إحدى البنات لقضاء حاجتها وتأخرت، وقد ظن أصحاب كل سيارة أنها مع السيارة الأخرى، وأكملوا سيرهم بناءً على ذلك، ولما خرجت افتقدتهم ، ولم تنتظر، فسارعت بتوقيف سيارة، وطلبت من ركبها وكانوا شباباً، ولم يظهر منهم إلا السائق، وطلبت منه اللحاق بأهلها أمامهم، ثم فوجئت بعد الانطلاق ببقية الشباب، وأرادوا بها شراً، إلا أن الله نجاها بعد عراك وصراخ امتد للفجر، حتى وجدت أهلها، ولو أنها طبقت هذه القاعدة لنجت وما وقعت في المحذور.

(١) حديث الإفك ، لابن أبي جمة ص ٥٣ - ٥٤ .

المطلب الثالث: العمل بالظاهر

مثال حد الظاهر عند الأصوليين هو: ما احتمل أمرين أحدهما أظهر من الآخر^(١).

١ - الحكم بالظاهر في المسائل وإن كانت محتملة لأوجه

شتى:

فالحكم بالظاهر هو الراجح؛ لأن أسيد بن حضير لما سمع ما صدر من سعد سيد الخزرج في دفاعه عن ابن أبي سلول نسبته في ذلك إلى الكذب والنفاق، ولم يتأول له غير ما ظهر منه، وإن كان محتملاً لغيره^(٢).

٢ - الأحكام مطلوبة ظاهرة وباطنة:

وللظاهر حكم وللباطن حكم، وحكم الظاهر مقدم على حكم الباطن، أعني الفحص عنه والإنجاز فيه؛ لأن النبي ﷺ لم يسألها عن الباطن حتى فحص عن الظاهر، وظهرت له طهارته بشهادة علي وأسامة وبريرة^(٣).

(١) الحدود في الأصول ص ١٤٢ .

(٢) حديث الإفك ، لابن أبي جمرة ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٠ .

المطلب الرابع: المجمل والمبين

المجمل هو: ما لا يعقل معناه من لفظه^(١)، أو اللفظ الصالح لأحد معنيين الذي لا يتعين معناه لا بوضع اللغة ولا بعرف الاستعمال^(٢).

والمبين والبيان في مقابلة المجمل^(٣)، أي: هو اللفظ الناص على معنى غير متردد متساو، أو ما فهم منه عند الإطلاق معنى معين من نص أو ظهور بالوضع أو بعد البيان^(٤).

وفي حادثة الإفك بيان ما أجمل في الكتاب والسنة، وهو مأخوذ من سياق عائشة رضي الله عنها جميع قصتها المشتملة على براءتها بيان ما أجمل في الكتاب والسنة بسياق أسباب ذلك^(٥).

(١) الحدود في الأصول ص ١٤٧ .

(٢) المستصفى ٢٨/٢ .

(٣) روضة الناظر بشرحها نزهة الخاطر العاطر ٥٢/٢ .

(٤) نزهة الخاطر العاطر ٥٢/٢ .

(٥) فتح الباري ٣٣٩/٨ .

المطلب الخامس: أقل الجمع

ورد في سياق الآيات التي نزلت في حادثة الإفك قوله تعالى:

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٦].

فقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾، يعود اسم الإشارة إلى الذين رماهما أهل الإفك وهم عائشة وصفوان، وكذلك الضمير المستتر في قوله: ﴿مُبَرَّءُونَ﴾، وهذا مما استدل به بعض العلماء على أن أقل الجمع اثنان، ومنهم الإمام مالك رحمه الله^(١)، وذهب الإمامان الشافعي وأحمد ومن وافقهما إلى أن أقل الجمع ثلاثة، وتفصيل ذلك في كتب الأصول^(٢).

(١) انظر: تفسير سورة النور، للشنقيطي ص ٨٧، والأحكام، لابن حزم ٣٩١/٤.

(٢) انظر: البحر المحيط ١٨٤/٤ وما بعده.

المطلب السادس: الاجتهاد

وهو: بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط^(١).

ومن مسائل الاجتهاد التي دلت عليها حادثة الإفك:

١ - ما لم ينص عليه الشارع فحكمه الاجتهاد:

وهو مأخوذ من قول أسيد بن حضير في حكم من تكلم في عرض النبي ﷺ: نضرب عنقه؛ لأن المسألة لم يكن فيها نص من الشارع عليه الصلاة والسلام.

وكذلك كل مسألة لم يكن فيها نص ، فللحاكم أن يحكم فيها باجتهاده^(٢)، وبأصول الاجتهاد التي بينها الفقهاء^(٣).

٢ - يجوز أن يقع الاجتهاد من الصحابة رضوان الله

عليهم في حضرة النبي ﷺ فيما لا نص فيه:

وهو مأخوذ من السياق المشار إليه في المسألة السابقة.

(١) البحر المحيط ٢٢٧/٨ .

(٢) انظر : حديث الإفك ، لابن أبي جمة ص ١٠٥ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٢٢٩/٨ وما بعده .

المطلب السابع: القواعد الفقهية والأدلة المختلف فيها

دلت حادثة الإفك على جملة من الأدلة المختلف فيها عند الأصوليين ، منها :

١ - استصحاب الحال:

ومعناه: أن ما ثبت في الزمن الماضي فالأصل بقاؤه في الزمن المستقبل^(١).

وللاستصحاب تقسيات متعددة ومتنوعة ، تكلم عنها الأصوليون ، منها:

- استصحاب البراءة الأصلية.

- واستصحاب الإجماع.

- واستصحاب حكم الأصل، ونحوها^(٢).

وفي حادثة الإفك استنبط العلماء مسألة استصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك^(٣)، وعبر عنه ابن أبي جمرة بقوله: الأصل استصحاب الحال؛ لأنها (أي: عائشة رضي الله عنها) استصحت ما كان عندها من عدالة مسطح؛ لكونه شهد بدرًا، وأنكرت

(١) انظر: البحر المحيط ١٣/٨ وما بعده .

(٢) انظر: الاجتهاد والاستصحاب وأثره في الفقه الإسلامي ص ٣٧ وما بعده .

(٣) فتح الباري ٨/٣٣٧ .

ما قيل فيه حتى يثبت عندها ذلك بيقين^(١).

ويمكن أن يستدل له أيضاً من خلال سياق الآيات الواردة في الإفك ، حيث أمر الله سبحانه المؤمنين ألا يظنوا فيمن تكلم فيه إلا خيراً ، وأن يكذبوا من تكلم في أحد من المسلمين المعروفين بالطهارة والعفة والسلامة من مقارفة الكبائر، استصحاباً لحال الأصل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ (١٢) ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٣) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤) ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١٥) ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦) ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) ﴿وَبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٨) [سورة النور: ١٢ - ١٨]، الآيات.

٢ - تغير العادة يوجب تغير الحكم:

وهذه القاعدة لا خلاف بين العلماء فيها، بل إن الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله عقد لها فصلاً ، مبيناً فيه أهمية هذه القاعدة في الفتوى، عنون له بـ فصل: في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير

(١) حديث الإفك ، لابن أبي حمزة ص ٧٩ .

الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد^(١).
وفي حادثة الإفك يظهر لنا أن تغير العادة موجب لحكم ثان؛
لأن النبي ﷺ لم يغير لها العادة حتى تُحدث في شأنها^(٢).

٣ - العادة محكمة:

وهذه القاعدة إحدى القواعد الكبرى الخمس التي عليها مدار الفقه، وأخذ بها العلماء^(٣).

وفي حادثة الإفك قال العلماء: إن توجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها اعتماداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام جائز^(٤)، استناداً على فعل عائشة رضي الله عنها لما خرجت لقضاء حاجتها عند فقدها لعقدها.

٤ - سد الذرائع:

والمراد به: المسألة التي ظاهرها الإباحة، ويتوصل بها إلى فعل المحظور^(٥).

وأخذ بقاعدة سد الذرائع الإمام مالك رحمه الله وأصحابه،

(١) إعلام الموقعين ٣/٣.

(٢) حديث الإفك ، لابن أبي حمزة ص ٧٠.

(٣) انظر: الأشباه والنظائر، للسيوطي ص ٣٥ - ٣٧ ، ١٨٢.

(٤) فتح الباري / ٣٣٧.

(٥) البحر المحيط ٨/ ٨٩ .

وخالفه غيره على تفصيل في ذلك^(١).

وفي حادثة الإفك استنبط العلماء لهذه القاعدة أدلة، منها: تعامله ﷺ مع الخصومة التي وقعت بين سيدي الأوس والخزرج^(٢)، وعدم تعامله معها تسكيناً للفتنة، كما فعل قبل ذلك في الغزوة، حينما أراد المنافقون إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار، حيث أمرهم بالسير وشدّ عليهم المسير؛ لينسوا ما أثاره المنافقون، فقطع بذلك الطريق عليهم.

ومما استدل به ابن أبي جمرة لهذه القاعدة: تعامل النبي ﷺ مع عائشة رضي الله عنها؛ لأنه «يعلم في أهله كل خير، وأنهم ليسوا كما قيل أصلاً، ومع ذلك نقص لها من العادة، وأظهر لها من الهجران شيئاً؛ سداً للذريعة؛ لأن الغيرة من الدين، ولو لم يفعل النبي ﷺ ذلك لأدّى إلى ترك الغيرة؛ لأنه قد يقال في غيرها شيء مما قيل فيها أو ما يشهد، فيترك الامتناع لذلك؛ اقتداءً به عليه الصلاة والسلام. والامتناع هو: الغيرة، والغيرة شعبة من شعب الإيمان، ففعل ذلك لأجل هذا المعنى»^(٣).

(١) المرجع السابق ٨ / ٩٠.

(٢) انظر: فتح الباري ٨ / ٣٣٨.

(٣) حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ٧١.

٥ - احتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما:

هكذا عبر عن هذه القاعدة ابن حجر رحمه الله^(١)، وعبر عنها السيوطي وغيره بقاعدة: «إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما»، ونظيرها قاعدة: «درء المفسد أولى من جلب المصالح»^(٢)، ودليل هذه القاعدة من حادثة الإفك: تعامله ﷺ مع المنافقين بشكل عام، ومع عبدالله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين في المدينة بشكل خاص، حيث لم يطبق عليه الحد - كما ذكر بعض العلماء - لدفع الضرر الأكبر الذي يترتب على ذلك من ثوران قومه وجماعته، وما يترتب على ذلك من مفسد عظمى وأضرار تضر بالمسلمين، فتحمل فتنه وفتنتهم والصبر عليهم درءاً للضرر الأكبر والمفسدة الأعظم التي يمكن أن تحدث فيما لو تعامل معهم النبي ﷺ بغير ذلك.

٦ - اليقين لا يزول بالشك:

هذه القاعدة من القواعد الخمس الكبرى التي عليها مدار الفقه^(٣):

وفي حادثة الإفك نجد القرآن الكريم يوجه إلى اعتبار هذه القاعدة في التعامل مع الإشاعات ، فلا يجوز طرح ما ثبت بيقين

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ٣٣٨ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٣) انظر: الأشباه والنظائر، للسيوطي ص ٣٦ وما بعده.

عن مسلم من عدالته ظاهراً وباطناً بسبب إشاعة مشكوك في صحتها، وفي حُسن نيّة مطلقها وظن حسن فيه، ومطلقها، وسلامة مشيعها ومروجها من الهوى والجهل، وهذا واضح من خلال:

١ - طلب البينة على ما يشاع: ﴿لَوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [سورة النور: ١٤].

٢ - الأمر بحسن الظن بالمؤمنين ، وطرح سوء الظن: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور: ١٢].

٣ - الأمر بالرد بقوة على ناقل الإشاعة: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٦].

٤ - الحكم بالكذب على الإشاعة بناء على ما سبق: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٦].

٥ - تعامل النبي ﷺ فيما نقل إليه ، حيث قال في خطبته: «من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»^(١).

(١) سبق تخريجه .

المطلب الثامن: مقاصد الشريعة

عرف الرِّيسوني مقاصد الشريعة بأنها: «الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد»^(١).

وقد اشتملت حادثة الإفك على بعض قواعد المقاصد، منها:

١ - مراعاة مقاصد الشريعة في تطبيق الحدود والأحكام الشرعية:

وقد وقع بسبب الجهل بهذه المسألة : « غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة تكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل»^(٢).

ولهذا المعنى اشترط الإمام الشاطبي رحمه الله في المجتهد شرطين:

أحدهما : فهم مقاصد الشريعة على كمالها.

(١) نظرية المقاصد ص ٧.

(٢) إعلام الموقعين ٣/ ٣.

والثاني : التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها^(١) .

وقال : «إذا بلغ الإنسان مبلغاً فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة ، وفي كل باب من أبوابها، فقد حصل له وصف هو السبب في تنزله منزلة الخليفة للنبي ﷺ في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله »^(٢) .

وفي حادثة الإفك يتبين لنا كيف راعى النبي ﷺ مقاصد الشريعة في تطبيق الحد على عبدالله بن أبي سلول على قول من قال : إنه ترك تطبيق الحد حتى لا ينفر الناس عن الإسلام، ويتألف قومه ، وقد تكرر فعل النبي ﷺ هذا مع عبدالله بن أبي عدة مرات في هذه الغزوة وغيرها .

ففي هذه الغزوة التي كانت فيها حادثة الإفك بعدما أراد عبدالله بن أبي إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار ، وبلغ ذلك النبي ﷺ قال عمر: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ : «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(٣) ، ومعنى هذا أنه لو قتله لتحدث الناس من خارج

(١) الموافقات ٥/ ٤١ - ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ٥/ ٤٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب تفسير القرآن ، باب سورة المنافقين برقم (٤٩٠٥) ، ومسلم في صحيحه ، في كتاب البر والصلة والآداب ، باب نصر الأخر ظالماً أو مظلوماً برقم (٦٥٨٣) .

المدينة ومن داخلها ممن لا يعلمون نفاقه بأن النبي ﷺ قتله، ولا يعلم سبب قتله؛ لأنه في ظاهره مسلم يؤدي الصلاة مع جماعة المسلمين، ويشاركهم حياتهم الاجتماعية، فما يأمن أحد بعد ذلك أن يكون الدور عليه؛ لأن محمداً يقتل من شاء من أصحابه، ويترك من شاء، وهذا فيه صد كبير عن دعوة الناس إلى دين الله، فراعى النبي ﷺ هذه المصلحة الضرورية العامة، وهي: حفظ الدين، على مصلحة دينية خاصة بقتله، وهذا في غاية الفقه والمعرفة بدين الله.

قال ابن العربي رحمه الله: «لم يقتل النبي ﷺ المنافقين مع علمه بهم، وقيام الشهادة عليهم أو على أكثرهم... واختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه لم يقتلهم لأنه لم يعلم حالهم سواء، وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم أن القاضي لا يقتل بعلمه وإن اختلفوا في سائر الأحكام هل يحكم بعلمه أم لا؟

الثاني: أنه لم يقتلهم لمصلحة وتآلف القلوب عليه؛ لئلا تنفر عنه، وقد أشار هو ﷺ إلى هذا المعنى فقال: «أخاف أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

الثالث: قال أصحاب الشافعي: إنما لم يقتلهم؛ لأن الزنديق وهو الذي يُسرّ الكفر ويظهر الإيمان يستتاب ولا يقتل. وهذا وهم من علماء أصحابه، فإن النبي ﷺ لم يستتبهم، ولا يقول أحد إن استتابة الزنديق غير واجبة.... والصحيح أن النبي ﷺ إما أعرض عنهم تألفاً ومخافة من سوء المقالة الموجبة للتنفير كما سبق

من قوله، وهذا كما كان يعطي الصدقة للمؤلفة قلوبهم مع علمه بسوء اعتقادهم ؛ تألفاً لهم ، أجرى الله سبحانه أحكامه على الفائدة التي سنّها إمضاءً لقضاياه بالسنة التي لا تبديل لها»^(١).

وهذا التعليل على سبيل العموم، وفي حادثة الإفك بخاصة.
قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولم يحّد الخبيث عبدالله بن أبي مع أنه رأس أهل الإفك.

ف قيل: لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة، والخبيث ليس أهلاً لذلك، وقد وعده الله بالعذاب الأليم في الآخرة، فيكفيه ذلك عن الحد.

وقيل: بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب حتى لا ينسب إليه.

وقيل: الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو بيّنة ، وهو لم يقر بالقذف، ولا شهد به عليه أحد ، فإنه إنما كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه ، ولم يكن يذكره بين المؤمنين.

وقيل: حدّ القذف حق الأدمي لا يستوفي إلا بمطالبتة.
وقيل: إنه حق الله، فلا بد من مطالبة المقذوف، وعائشة لم تطالب به ابن أبي .

وقيل: بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مراراً، وهي تأليف قومه وعدم

(١) أحكام القرآن ، لابن العربي ٢٠ / ١ - ٢١ .

تنفيرهم عن الإسلام، فإنه كان مطاعاً فيهم رئيساً عليهم، فلم تؤمن
إثارة الفتنة في حده ، ولعله ترك هذه الوجوه كلها»^(١).

٢ - اعتبار المآلات:

والمراد به : « تحقيق مناط الأحكام بالنظر في الاقتضاء التبعي
الذي يكون عليه عند تنزيله من حيث حصول مقصده والبناء على
ما يستدعيه ذلك الاقتضاء»^(٢). وقد استدل من أصل لهذا الدليل
المقاصدي من السنة بامتناع النبي ﷺ عن قتل المنافقين^(٣).
ويقال فيه ما قيل في المسألة السابقة.

٣ - الوسائل لها حكم المقاصد:

وهي عبارة الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله^(٤)، وكذلك
القرافي رحمه الله^(٥).

ومعنى القاعدة هو: أن الأفعال التي تؤدي إلى المقاصد يختلف
حكمها باختلاف حكم المقاصد، فإن كان المقصود واجباً فوسيلته
واجبة ، وإن كان محرماً فوسيلته محرمة....^(٦).

(١) زاد المعاد ٢٦٢/٣ - ٢٦٤، وانظر الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ٢٥٨/٣،

وقد ردّ ابن حجر على ابن القيم ، ويبيّن أن الصحيح أن عبد الله بن أبي كان
ضمن المحدودين. انظر : فتح الباري ٣٣٧/٨.

(٢) اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات ص ١٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ١٣٨.

(٤) انظر: قواعد الأحكام ٤٦/١.

(٥) انظر: الفروق ٣٣/٢ .

(٦) قواعد الوسائل ص ٢٢٣.

فالشريعة عندما تحرّم شيئاً فإنها لا تكتفي بتحريمه فحسب، بل إنها تودي في الوقت نفسه بكل ما يرغب الناس في إتيانه، أو يهيء لهم فرصة، أو يكرههم عليه من الأسباب والدواعي^(١).

ولهذا حرم الله الكلام في الفواحش وإشاعتها بين الناس، حتى لا يهون أمرها بينهم، ويسهل بالتالي الوقوع فيها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النور: ١٩]، وحرم خطوات الزنا من النظر واللمس والتقبيل؛ لأنها من خطوات الشيطان، كما جاء في آيات الإفك: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢١].

وخطوات الشيطان كما جاء في تفسيرها تكون بإشاعة الفاحشة^(٢).

٤ - جواز عمل المندوب والمقصود منه ما هو أعلى في الدين:

يؤخذ ذلك من أنها طلبت زيارة أبويها وهو من المندوبات، وقصدها الكشف عما هو شين في دينها^(٣).

(١) تفسير سورة النور، للمودودي ص ١٤١.

(٢) انظر: تفسير القاسمي ١٢ / ٤٤٦٥.

(٣) حديث الإفك، لابن أبي جمرة ص ٨٣.

٥ - الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم ، وتحصيل الأجر للموقع فيه^(١) :
ولعله مأخوذ من اعتذار عائشة رضي الله عنها للذين يرحلون بغيرها بأنهم ظنوا أنها فيه بسبب خفة النساء في ذلك الوقت .

٦ - ما كان عوناً للدنيا وعونا على الدين فليس بدنيا وهو للآخرة:

وهو مأخوذ من تزكية الله لأهل بدر ورفع درجاتهم في الدنيا والآخرة مع أن خروجهم من المدينة وتقاسم الغنائم كان عوناً على الدنيا مع كونه عوناً للدين .

٧ - الخير ما زاد نفعه على ضره، والشر ما زاد ضره على نفعه:
والخير الذي لا شر فيه هو الجنة، والشر الذي لا خير فيه هو جهنم، عياداً بالله^(٢) ، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [سورة النور: ١١] .

والخير العظيم الذي جاء بسبب حادثة الإفك حصل معه شر ، ولكن لما غلب الخير الشر سماه الله خيراً.

(١) فتح الباري ٨ / ٣٣٧ .

(٢) انظر : أحكام القرآن ، لابن العربي ٣ / ٣٦٣ .

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله
وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فقد اعتاد الباحثون عند ختام البحث أن يذكروا المسائل
والنتائج والتوصيات التي خرج بها الباحث من خلال بحثه،
وبحثنا هذا لم يكن للباحث فيه إلا الجمع والتنسيق والترتيب
والاجتهاد في تأصيل المسائل على قدر الحاجة.

وقد برزت نتائجه في هذا الإطار، فهي مذكورة في فهرس
البحث، إلا أن أهم ما خرج به الباحث سوى ما ذكر:

مدى أهمية دراسة السيرة النبوية لاستنباط الأحكام الشرعية
فيها ، وفي ظن الباحث أن هذا الجانب لم يحظ بذلك الاهتمام الذي
حظيت به كتب أحاديث الأحكام، ولهذا وجدنا بعض المسائل
الدقيقة التي استنبطت من خلال دراسة حادثة الإفك قد لا تجدها
في شروح كتب أدلة الأحكام ، وإن وجدت في بعض شروح كتب
السنة الأخرى ضمن الأحاديث التي تذكرها هذه الكتب في
الأحكام أيضاً.

ولهذا فإن أهم توصية البحث يخرج بها هذا هو حث الباحثين
الشرعيين إلى تتبع أحداث السيرة والتعمق في دراستها واستنباط

الأحكام الشرعية منها مرتبة على أبواب الفقه وأصوله على غرار
الترتيب الذي سلك في كتب أحاديث الأحكام.

ونسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه
الكريم ، وأن ينفع به كاتبه وقارئه والمسلمين ، وصلى الله على سيدنا
محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الاجتهاد والاستصحاب وأثره في الفقه الإسلامي، للدكتور:
حسن بن إبراهيم الهنداوي، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت ،
لبنان ، ط ١ : ١٤٢٥ هـ .
- ٣ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية، لأبي الحسن علي بن
محمد بن حبيب الماوردي، خرّج أحاديثه وعلق عليه: خالد
عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان،
ط ١٤١٠ هـ .
- ٤ - أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي،
تحقيق: صلاح الدين بو عفيف ، دار ابن حزم، بيروت ، لبنان،
ط ١ : ١٤٢٧ هـ .
- ٥ - أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي،
راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبدالقادر عطا،
دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ .
- ٦ - أحكام القرآن ، للإمام الفقيه عماد الدين محمد الطبري، المعروف
بالكيا المهراسي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ :
١٤٠٣ هـ .
- ٧ - أحكام القرآن ، للرازي: حجة الإسلام ، أبي بكر، أحمد بن علي
الرازي الجصاص، إخراج: عبدالسلام محمد علي شاهين ، دار

الكتب العملية، بيروت ، لبنان، ط ١ : ١٤١٥ هـ .

٨ - إحياء علوم الدين ، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي،
وبذيله: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، المكتبة التجارية
الكبرى بمصر .

٩ - الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، للإمام جلال
الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد المعتصم بالله
البغداددي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣ : ١٤١٧ هـ .

١٠ - الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام شهاب الدين أبي الفضل أحمد
بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

١١ - اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات ، عبدالرحمن بن معمر
السنوسي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١ :
١٤٢٤ هـ .

١٢ - إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لشمس الدين أبي عبدالله
محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه
عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان .

١٣ - البحر المحيط، للإمام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي
الشافعي، حققه وخرج أحاديثه: لجنة من علماء الأزهر، دار
الكتبي ط ١ : ١٤١٤ هـ .

١٤ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، للإمام القاضي أبي الوليد
محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي، راجع أصوله وعلق

عليه الأستاذ: عبدالحليم محمد عبدالحليم، دار الكتب الإسلامية،
مصر، ط ٢ : ١٤٠٣ هـ .

١٥ - البداية والنهاية، لابن كثير: أبي الفداء، إسماعيل بن كثير
الدمشقي، بيروت، مكتبة المعارف.

١٦ - تصنيف الناس بين الظن واليقين، للدكتور: بكر عبدالله أبو
زيد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط ١ : ١٤١٤ هـ .

١٧ - تفسير ابن عاشور = التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر ابن
عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس .

١٨ - تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ
أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة،
بيروت، لبنان، ط ٢ : ١٤٠٧ هـ .

١٩ - تفسير الآلوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع
المثاني، للعلامة: أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، دار
إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٤ : ١٤٠٥ هـ .

٢٠ - تفسير الرازي = التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي،
المطبعة البهية المصرية، الطبعة الأولى.

٢١ - تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق التنزيل وعيون
الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر
الزمخشري الخوارزمي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٧ هـ .

٢٢ - تفسير الشوكاني = فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د.عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ١: ١٤١٥هـ .

٢٣ - تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، شركة ومكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢: ١٣٨٨هـ .

٢٤ - تفسير القاسمي: محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، إخراج محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٢٥ - تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي .

٢٦ - تفسير سورة النور، لأبي الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط ١٣٩٨هـ .

٢٧ - تفسير سورة النور، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، كتبه عن شيخه: عبدالله بن أحمد قادري الأهدل، دار المجتمع للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١: ١٤١٠هـ .

٢٨ - تفسير الهرري = حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبدالله الأرمي الهرري الشافعي، مراجعة د.هاشم مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

٢٩ - حادثة الإفك وبراءة السيدة عائشة منه، للإمام الحافظ المحدث: عبدالله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، دار الاعتصام .

٣٠ - الحدود في الأصول (الحدود والمواضع)، للأستاذ: أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، قرأه وقدم له وعلق عليه د. محمد السليمان، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ : ١٩٩٩ .

٣١ - خاتم النبيين، للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة .

٣٢ - دقائق التفسير، الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ، تحقيق: محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، سوريا ، دمشق ، ط ٢ : ١٤٠٤ هـ .

٣٣ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، ط ١٣٩٨ هـ .

٣٤ - روضة المناظر وجنة المناظر = نزهة الخاطر العاطر .

٣٥ - زاد المعاد في هدي خير العباد ، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ٢ : ١٤٠١ هـ .

٣٦ - السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد ، مطبوعات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ : ١٤١٢ هـ .

٣٧ - الصمت وآداب اللسان، لابن أبي الدنيا: أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط ١ : ١٤١٠هـ .

٣٨ - شرح مسلم، للنووي = الشيخ أبي يحيى، محيي الدين، زكريا النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها .

٣٩ - الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم الشهير بابن تيمية، قدم له وعرف به: حسنين محمد مخلوف ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٤٠ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت. محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .

٤١ - الفردوس بمأثور الخطاب ، للدَّيْلَمي: أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني (ت ٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ : ١٩٨٦م .

٤٢ - الفروق ، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المشهور بالقرافي، وبهامشه تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية ، عالم الكتب، بيروت.

٤٣ - في ظلال القرآن، سيد قطب، جدة ، دار العلم للطباعة والنشر، ط ١٦ .

٤٤ - القاموس المحيط ، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، ط ٢: ١٤٠٧هـ .

٤٥ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، للإمام المحدث الفقيه أبي محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٤٦ - قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، للدكتور: مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١: ١٤٢٠هـ .

٤٧ - لسان العرب ، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط ١: ١٤١٠هـ .

٤٨ - محمد رسول الله ﷺ منهج رسالة بحث وتحقيق ، محمد الصادق إبراهيم عرجون ، دار القلم ، دمشق ، ط ١: ١٤٠٥هـ .

٤٩ - معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق : عبدالسلام هارون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ٣: ١٤٠٥هـ.

٥٠ - المغني ، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق: د.عبدالله التركي ود.عبدالفتاح حلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، ط ٢: ١٤١٣هـ .

٥١ - الموافقات ، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي ، ضبط نصوصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور حسن آل سلمان ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ : ١٤٢٤ هـ .

٥٢ - نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة ، للشيخ عبدالقادر بن مصطفى بدران الدومي الدمشقي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

٥٣ - نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ط ٢ : ١٤١٢ هـ .

٥٤ - النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، وطاهر الزواوي، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي.



فهرس الموضوعات

الموضوع	ص
المقدمة.....	٣
التمهيد.....	٩
أولاً : معنى كلمة حادثة	٩
ثانياً : معنى كلمة إفك	٩
ثالثاً : شمول معنى الإفك لجميع أنواع الكذب	١٠
المبحث الأول : بين يدي حادثة الإفك.....	١٥
أولاً : حادثة الإفك في السنة والسيرة النبوية	١٥
ثانياً : الآيات التي نزلت في حادثة الإفك	٢٥
ثالثاً : الأسباب التي دعت المنافقين للوقوع في الإفك:.....	٢٧
المبحث الثاني: الآداب الاجتماعية التي دلت عليها حادثة الإفك.....	٣٥
أولاً : آداب الأخوة والصحبة والمعاشرة :.....	٣٥
١ - النهي عن مخالطة ومقارنة الظالمين وأهل الفسق والبدع...	٣٦
٢ - من رمى بالقذف جاز لمن معه هجره :.....	٣٧
٣ - هجران أهل المعاصي مراتب :.....	٣٨
٤ - التثبت عن الأخبار ما لم يُعلم الصواب :.....	٣٨
٥ - مؤاخذة المسلم على أعماله الباطنة السيئة، كالحقد والحسد والظن السيء ومحبة شيوع الفاحشة ونحو ذلك:.....	٣٨
٦ - ذب المسلم عن أخيه المسلم خصوصاً إذا كان من أهل الفضل:.....	٣٩
٧ - الآداب الواجبة عند سماع القبيح عن أخيه المسلم كما جاء في الآيات :.....	٤٠

- ٨ - من استفسر عن حال شخص، فأراد بيان ما فيه من عيب، فليقدم ذكر عذره في ذلك إن كان يعلمه: ٤١
- ٩ - على من رمي بشيء لم يفعله أن يعلم أن الله يبرئه منه: ٤١
- ١٠ - التعصّب لأهل الباطل يُخرج صاحبه عن اسم الصلاح: ٤١
- ١١ - المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات وتسكين الغضب: ٤٢
- ١٢ - إكرام المحبوب بمراعاة أصحابه ومن خدمه أو أطاعه: ٤٢
- ١٣ - العفو عن المسيء والإغضاء عن الجفوة: ٤٢
- ١٤ - أهل الخير والصلاح مطالبون بأشياء لم يطالب بها غيرهم: ٤٣
- ثانياً: آداب الاستشارة: ٤٤
- ١ - استحباب الاستشارة في الجملة: ٤٤
- ٢ - استشارة الأعلى لمن هو دونه: ٤٤
- ٣ - الاستشارة أحياناً لمن هم أهل بطانة المرء ومن يلوذ بهم: ٤٤
- ثالثاً: آداب الحديث: ٤٥
- ١ - استحباب البدء في الأمر المهم: ٤٥
- ٢ - جواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل: ٤٥
- ٣ - توقف من اشتباه عليه الأمر في الكلام: ٤٦
- ٤ - تسمية من يعرف من أصحاب القصص: ٤٦
- ٥ - أن لا يتكلم الإنسان إلا بما يعلمه ويتحققه: ٤٦

- ٦ - من شارك في الكلام ولم يتكلم كان كمن تكلم : ٤٦
- ٧ - مشروعية الاستشهاد بآيات القرآن الكريم في الحديث : ٤٨
- ٨ - مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب : ٤٨
- ٩ - مشروعية التورية في الحديث عند الحاجة لذلك : ٤٨
- رابعاً : آداب الإمام والإمامة : ٥٠
- ١ - غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم واهتمامهم بذلك : ٥٠
- ٢ - مشروعية خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم : ٥١
- ٣ - بيان آداب الخطبة : ٥٣
- ٤ - مشروعية اشتكاء ولي الأمر إلى المسلمين عن من تعرض له بالأذى في نفسه أو أهله أو غيره ، واعتذاره فيما يريد أن يؤذيه به ، كما فعل النبي ﷺ ٥١
- خامساً : آداب المال : ٥٢
- ١ - شؤم الحرص على المال : ٥٢
- ٢ - صيانة المال ولو قلّ : ٥٢
- ٣ - من فقد شيئاً يرجع بفكره القهقري إلى الحد الذي يتحقق وجوده : ٥٢
- ٤ - الحث على الإنفاق في سبيل الخير واستحباب الصدقة : ٥٣
- سادساً آداب المرأة : ٥٤
- ١ - حسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء : ٥٤

- ٥٤ ٢ - المشي أمام المرأة لا يجنبها :
- ٣ - أن من يركب مع المرأة على بعير أو نحوه لا يكلمها إذا
- ٥٤ لم يكن محرماً.
- ٤ - إذا خرجت المرأة لحاجتها يستحب أن تستصحب من
- ٥٥ يؤنسها :
- ٥٥ ٥ - ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها :
- ٥٥ ٦ - إدلال المرأة مع زوجها وأبويها :
- ٥٦ ٧ - فضيلة الاقتصار في الأكل للنساء وغيرهن :
- ٥٧ سابعاً : آداب قضاء الحاجة :
- ٥٧ ١ - صيانة البلد عن الفضلات :
- ٥٧ ٢ - صيانة اللسان عن ذكر المستقذرات والمستخبثات :
- ٥٧ ٣ - الخروج لقضاء الحاجة يكون بالبعد :
- ٥٨ ٤ - صيانة البيوت عن اتخاذ الكنف فيها :
- ٥٩ ثامناً : آداب الاستئذان :
- ٥٩ ١ - الاستئذان عند الدخول :
- ٦٠ تاسعاً : آداب التوبة :
- ٦٠ ١ - وجوب التوبة من الذنوب والمعاصي :
- ٢ - الواجب على المسلم المكلف في كل محرّم أن يستعظم
- ٦١ الإقدام عليه :
- ٦١ ٣ - لا تحمل كل نفس إلا ما كسبت من الإثم :
- ٦١ ٤ - سعة رحمة الله سبحانه وتعالى، وعفوه عن المذنبين :
- ٦٣ عاشرًا : آداب الابتلاء والمصيبة :

- ٦٣ ١ - فضل الصبر واحتمال الأذى :
- ٦٤ ٢ - الاسترجاع عند المصيبة :
- ٦٥ ٣ - فضل من يفوض الأمر إلى ربه :
- ٦٥ ٤ - الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرج :
- ٦٦ ٥ - معذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه :
- ٦٦ ٦ - التفجيع للمصاب :
- ٦٧ ٧ - التأسي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم :
- ٨ - تبشير من تجددت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه بلية ظاهرة ، والضحك والاستبشار عند ذلك ٦٧
- ٩ - تدريج من وقع في مصيبة ، فزالت عنه ؛ لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة ، فيهلكه : ٦٨
- ٦٨ حادي عشر : آداب زيارة المريض :
- ٦٨ ١ - السؤال عن المريض :
- ٢ - لا ينبغي لأهل المريض أو زواره أن يُعلموه بما يؤذي باطنه أو يؤلمه : ٦٨
- ٣ - تبشير المريض بالصحة والعافية وطول العمر : ٦٨
- ٦٩ ٤ - المريض لا يعاقب ولا يعاتب حتى يبرأ من مرضه :
- ٥ - التبكير إلى المريض ممن يمرضه لينظر في صالحه واللفظ له : ٦٩
- ٧٠ ثاني عشر : المناقب والفضائل :
- ٧٠ ١ - بشرية الرسول ﷺ وصدق نبوته ومكاته الرفيعة عند الله :
- ٢ - فضل أبي بكر ، وعائشة ، ومسطح ، وصفوان ، وعلي ،

- وأسامة، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وزينب بنت
 ٧١ جحش رضي الله عنهم أجمعين
 ٧١ ٣ - فضائل أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن :
 ٧٢ ٤ - فضل أهل بدر والذبّ عنهم :
 ٧٢ ٥ - بشرية الصحابة رضوان الله عليهم ووقوع الأخطاء منهم :
 المبحث الثالث : الأحكام والمسائل الفقهية التي اشتملت
 ٧٤ عليها حادثة الإفك.....
 المطلب الأول: براءة عائشة رضي الله عنها وتحريم الشك
 فيها أو في أحد من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، وحكم
 ٧٤ ذلك
 ٧٤ الفرع الأول : براءة عائشة رضي الله عنها شرعاً وعقلاً :
 ٧٤ - من القرآن :
 ٧٦ - ومن السنة :
 ٧٧ - ومن الإجماع :
 ٧٧ - ومن العقل :
 ١ - أن الله سبحانه وتعالى يمنع أن تكون زوجة رسوله
 ٧٧ الكريم ﷺ المعصوم من يقع منها ذلك :
 ٢ - أن المعروف من حال عائشة ومقامها عند النبي ﷺ أن
 ٧٨ لا يقع منها ذلك :
 ٣ - أن متولي هذه الفرية هم المنافقون وأتباعهم وليسوا
 المؤمنين ، وكلام الأعداء لا يقبل في أعدائهم ؛ لأنه مبني غالباً
 ٧٨ على الكذب والبهتان

- ٤ - أن شأن من يفعل هذه الفعلة القبيحة أن يستر نفسه،
 لا أن يدخل المعسكر نهراً جهاً : ٧٨
- ٥ - أن الإنسان العامل صاحب المروءة لا يتصور منه يوماً
 أن يؤذي أخاه : ٧٩
- ٦ - أن شأن الرجل الشهم صاحب المروءة لا يقبل أن تبقى
 معه امرأة مسافحة أو مشكوك في عفتها : ٧٩
- ٧ - نقل الإمام أبو زهرة رحمه الله أن صفوان بن المعطل كان
 حصوراً ليس له إرب في النساء : ٨٠
- الفرع الثاني : حكم من تكلم في عرض أم المؤمنين عائشة
 والوعيد الوارد في ذلك : ٨١
- ثانياً : الوعيد الشديد الوارد في من تكلم في عائشة رضي الله عنها : ... ٨٢
- ثالثاً : فضل عائشة رضي الله عنها : ٨٥
- المطلب الثاني : المسائل الفقهية التي دلت عليها حادثة الإفك ٩٠
- أولاً : أبواب المعاملات المالية : ٩٠
- ١ - وجوب صيانة المال ولو قلّ : ٩٠
- ٢ - استحباب صلة الأرحام والأقارب بالمال وإن كانوا سيئين : ... ٩١
- ٣ - جواز إعطاء الزكاة للعصاة : ٩١
- ٤ - الأصل في عقود المسلمين الصحة من الفساد : ٩١
- ثانياً : باب الجهاد : ٩٢
- ١ - فطنة الإمام عند الحادث المهم : ٩٢
- ٢ - توقف رحيل المعسكر على إذن الأمير وأمره : ٩٢
- ٣ - على الإمام أو أمير الجيش أو صاحب رفقة إذا أراد

- السير أن يخبر من معه ويؤذنه بذلك : ٩٢
- ٤ - استعمال بعض الجيش ساقه يكون أميناً ليحمل
الضعيف ، ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح ، كما فعل
صفوان بن المعطل رضي الله عنه ٩٣
- ٥ - جواز تأخر بعض الجيش ونحوها لحاجة تعرض له عن
الجيش إذا لم يكن ضرورة إلى الاجتماع : ٩٣
- ٦ - وجوب إغاثة الملهوف والمنقطع : ٩٣
- ثالثاً : باب النكاح وأحكام النساء : ٩٤
- ١ - جواز السفر بالنساء في الغزو : ٩٤
- ٢ - جواز غزو النساء وإن لم يكن واجباً عليهن : ٩٤
- ٣ - مشروعية القرعة بين النساء عند إرادة السفر بهن : ٩٤
- ٤ - لا يجب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات : ٩٥
- ٥ - الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة : ٩٥
- ٦ - جواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير : ٩٥
- ٧ - جواز خدمة الرجال الأجانب للنساء وذلك يكون من
وراء حجاب : ٩٥
- ٨ - جواز استخدام الخادم ولو من غير الرقيق : ٩٦
- ٩ - جواز تستر المرأة بالشيء المنفصل من البدن : ٩٦
- ١٠ - جواز تحلي المرأة في السفر كالخضر بقلادة ونحوها : ٩٦
- ١١ - جواز خروج المرأة وحدها ، لكن يشترط فيه أن تأمن
على نفسها الفتنة : ٩٦
- ١٢ - جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن خاص من

- زوجها اعتماداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام :..... ٩٧
- ١٣ - توقف خروج المرأة من بيتها على الأصل على إذن
- زوجها ولو كان بيت أبيها :..... ٩٧
- ١٤ - جواز كلام المرأة للأجانب للضرورة :..... ٩٧
- ١٥ - مشروعية تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي ، سواء
- كان صالحاً أم غيره :..... ٩٨
- ١٦ - السنة للنساء لبس الطويل من الثياب :..... ٩٨
- ١٧ - حرمة الخلوة بالنساء ، وأن الخلوة للضرورة في برية
- أو نحوها جائزة :..... ٩٨
- ١٨ - من وجد رجلاً مع امرأة فاعترفها بالنكاح لا يجب
- تكذيبهما ، بل يجب تصديقهما :..... ٩٨
- رابعاً : باب الأيمان :..... ٩٩
- ١ - جواز القسم بلفظ لعمر الله :..... ٩٩
- ٢ - جواز الحلف من غير استحلاف :..... ٩٩
- ٣ - اليمين لا تحرم ولا تحرم :..... ٩٩
- ٤ - من حلف على شيء ألا يفعله من الخير من السنن
- أو المندوبات استحب له الحنث ويكفر عن يمينه :..... ١٠٠
- خامساً : باب القضاء :..... ١٠٢
- ١ - ليس للحاكم أن يحكم لنفسه ولا بعلمه ، وله أن يشهد
- به عند غيره من الحكام :..... ١٠٢
- ٢ - منع الحكم في حالة الغضب :..... ١٠٢
- سادساً : باب الشهادات :..... ١٠٤

- ١ - التثبت في الشهادة وقبولها ممن لم تظهر منه ريبة : ١٠٤
- ٢ - توقيف من نقل عنه ذنب على ما قيل فيه بعد البحث عنه
- في الشهادة أو ردّها : ١٠٤
- ٣ - استصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك
- معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك ١٠٤
- ٤ - أن من بحث عن حال شخص اتهم بشيء ، وحكى ما
- قيل فيه للكشف عن أمره لا يعد ذلك غيبة : ١٠٤
- ٥ - لا يجوز الإخبار في الشهادة إلا بعلم : ١٠٥
- ٦ - جواز استعمال : « لا نعلم عنه إلا خيراً » للتركية : ١٠٥
- ٧ - من ارتكب كبيرة ثم تاب منها ، فإن ذلك لا ينقص من
- قدره : ١٠٥
- ٨ - على المسلم أن يرد عن نفسه إن كان قادراً على ذلك ،
- وإلا فالصبر حتى يبرئه الله : ١٠٦
- ٩ - جواز تركية الإنسان نفسه للمصلحة : ١٠٦
- ١٠ - جواز تعديل النساء بعضهن بعضاً : ١٠٦
- سابعاً : أبواب الحدود : ١٠٧
- ١ - الواجب على المكلف في كل محرّم أن لا يرتكبه ؛ لأنه
- لا يأمن أن يكون من الكبائر : ١٠٧
- ٢ - وجوب احترام القوانين الشرعية في الحضرة والغيبة
- والعلانية والسر : ١٠٧
- ٣ - تعظيم حرمة المؤمن ووجوب ستره وعدم هتكه وعظم
- ذنب من رمى مسلماً بشيء ليس فيه في الدنيا والآخرة : ١٠٨

- ٤ - استحباب العفو والصفح عن المسيء : ١٠٨
- ٥ - جواز سب من يتعرض للباطل ونسبته إلى ما يسوءه : ١٠٨
- ٦ - جواز لعن من كان أهلاً لذلك : ١٠٩
- ٧ - جواز إطلاق الكذب على الخطأ : ١١٠
- ٨ - الإنسان مؤاخذ على أعماله السيئة الباطنة ، كالحقد والحسد ومحبة شيوع الفاحشة في المجتمع المسلم : ١١٠
- ٩ - حرمة إشاعة الفاحشة، وعداها بعض العلماء من الكبائر : ١١١
- ١٠ - من آذى النبي ﷺ بقول أو فعل يكفر ويقتل : ١١٢
- ١١ - وجوب إقامة الحد لمن ثبت عليه ، ولا يجوز تأخيره ١١٢
- إلا لمصلحة يراها الإمام : ١١٢
- ١٢ - التأكيد على حد القذف، وهو جلد ثمانين جلدة : ١١٢
- ١٣ - لا يحكم بالظن في حد القذف : ١١٣
- ١٤ - لا يقبل في إثبات الزنا أقل من أربعة شهود بشروط ١١٣
- وضوابط معينة حددها الشارع الحكيم : ١١٣
- ١٥ - إقامة الحدود سبب للتوبة والرحمة : ١١٤
- المبحث الثالث: المسائل الأصولية التي دلت عليها حادثة الإفك ١١٥
- تمهيد : ١١٥
- المطلب الأول : مباحث السنة وقبول الأخبار ١١٥
- ١ - جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة ، عن كل واحد ١١٥
- قطعة مبهمة منه بالإجماع : ١١٥
- ٢ - الأصل في المسلم العدالة : ١١٦
- المطلب الثاني : خبر الواحد وما يتعلق به من مسائل ١١٧

- ١ - التوقف في خبر الواحد ولو كان صادقاً : ١١٧
- ٢ - خبر الواحد إذا جاء بعد شيء أفاد القطع : ١١٧
- ٣ - طلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين : ١١٨
- ٤ - إطلاق الظن على العلم : ١١٨
- ٥ - بقاء الإنسان في المقطوع فيه خير من بقاءه في المحتمل : ١١٩
- المطلب الثالث : العمل بالظاهر ١٢٠
- ١ - الحكم بالظاهر في المسائل وإن كانت محتملة لأوجه شتى : ١٢٠
- ٢ - الأحكام مطلوبة ظاهرة وباطنة : ١٢٠
- المطلب الرابع : المجمل والمبين ١٢١
- المطلب الخامس : أقل الجمع ١٢٢
- المطلب السادس : الاجتهاد ١٢٣
- ١ - ما لم ينص عليه الشارع فحكمه الاجتهاد : ١٢٣
- ٢ - يجوز أن يقع الاجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم ١٢٣
- في حضرة النبي ﷺ فيما لا نص فيه : ١٢٣
- المطلب السابع : القواعد الفقهية والأدلة المختلف فيها ١٢٤
- ١ - استصحاب الحال : ١٢٤
- ٢ - تغير العادة يوجب تغير الحكم : ١٢٥
- ٣ - العادة محكمة : ١٢٦
- ٤ - سد الذرائع : ١٢٦
- ٥ - احتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما : ١٢٨
- ٦ - اليقين لا يزول بالشك : ١٢٨
- المطلب الثامن : مقاصد الشريعة ١٣٠

١٣٠	١ - مراعاة مقاصد الشريعة في تطبيق الحدود والأحكام الشرعية:
١٣٤	٢ - اعتبار المآلات :
١٣٤	٣ - الوسائل لها حكم المقاصد :
١٣٥	٤ - جواز عمل المندوب والمقصود منه ما هو أعلى في الدين:
	٥ - الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه
١٣٦	يقع في الإثم ، وتحصيل الأجر للموقع فيه :
	٦ - ما كان عوناً للدنيا وعونا على الدين
١٣٦	فليس بدنيا وهو للآخرة:
١٣٦	٧ - الخير ما زاد نفعه على ضرره، والشر ما زاد ضرره على نفعه :
١٣٧	الخاتمة.....
١٣٩	المصادر والمراجع.....
١٤٧	فهرس الموضوعات.....



من هذه السلسلة



صدر من هذه السلسلة

- ١- تأملات في سورة الفاتحة د. حسن باجودة
- ٢- الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه أ. أحمد محمد جمال
- ٣- الرسول في كتابات المستشرقين أ. نذير حمدان
- ٤- الإسلام الفاتح د. حسين مؤنس
- ٥- وسائل مقاومة الغزو الفكري د. حسان محمد حسان
- ٦- السيرة النبوية في القرآن د. عبد الصبور مرزوق
- ٧- التخطيط للدعوة الإسلامية د. علي محمد جريشة
- ٨- صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية د. أحمد السيد دراج
- ٩- التوعية الشاملة في الحج أ. عبد الله بوقس
- ١٠- الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره د. عباس حسني محمد
- ١١- لمحات نفسية في القرآن الكريم د. عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢- السنة في مواجهة الأباطيل أ. محمد طاهر حكيم
- ١٣- مولود على الفطرة أ. حسين أحمد حسون
- ١٤- دور المسجد في الإسلام أ. علي محمد مختار
- ١٥- تاريخ القرآن الكريم د. محمد سالم محيسن
- ١٦- البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام أ. محمد محمود فرغلي
- ١٧- القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته (١) د. محمد الصادق عفيفي
- ١٨- المرأة وحقوقها في الإسلام أ. أحمد محمد جمال
- ١٩- القراءات : أحكامها ومصدرها د. شعبان محمد اسماعيل
- ٢٠- المعاملات في الإسلام د. عبدالستار سعيد
- ٢١- الزكاة : فلسفتها وأحكامها د. علي محمد العماري
- ٢٢- حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم د. أبو اليزيد العجمي
- ٢٣- الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا أ. سيد عبد المجيد بكر
- ٢٤- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر د. عدنان محمد وزان
- ٢٥- الإسلام والحركات الهدامة معالي عبد الحميد حمودة
- ٢٦- تربية النشء في ظل الإسلام د. محمود محمد عمارة
- ط١ (١٤٠٤هـ)، ط٢ (١٤٢١هـ).
- ٢٧- مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي د. محمد شوقي الفنجرى
- ٢٨- وحي الله - حقائق وخصائص في الكتاب والسنة د. حسن ضياء الدين عتر
- ٢٩- حقوق الإنسان وواجباته في القرآن أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
- ٣٠- المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية أ. محمد عمر القصار
- ٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته (٢) أ. أحمد محمد جمال

٣٢-	الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج	د. السيد رزق الطويل
٣٣-	الإعلام في المجتمع الإسلامي	أ. حامد عبدالواحد
٣٤-	الالتزام الديني منهج وسط	الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة
٣٥-	التربية النفسية في المنهج الإسلامي	د. حسن الشرقاوي
٣٦-	الإسلام والعلاقات الدولية	د. محمد الصادق عفيفي
٣٧-	العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨-	معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها	د. محمود محمد بابلي
٣٩-	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	د. علي محمد نصر
٤٠-	من التراث الاقتصادي (١)	د. رفعت العوضي
٤١-	أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام	د. عبد العليم عبدالرحمن خضر
٤٢-	الأقليات المسلمة في أفريقيا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣-	الأقليات المسلمة في أوروبا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤-	الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥-	الطريق إلى النصر	أ. محمد عبدالله فودة
٤٦-	الإسلام دعوة الحق	د. السيد رزق الطويل
٤٧-	الإسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨-	دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته	د. البدر اوي عبد الوهاب زهران
٤٩-	المجاهدون في فطاني	أ. ضياء شهاب
٥٠-	معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١-	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية	د. سيد عبد الحميد مرسى
٥٢-	ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي	أ. أنور الجندي
٥٣-	الشورى سلوك والتزام	د. محمود محمد بابلي
٥٤-	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أ. أسماء عمر فدعق
٥٥-	مدخل إلى تحصين الأمة	د. أحمد محمد الخراط
٥٦-	القرآن كتاب أحكمت آياته (٣)	أ. أحمد محمد جمال
٥٧-	كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خليف
٥٨-	الزواج بغير المسلمين ١ (١٤٠٦ هـ) ، ط ٢ (١٤٢١ هـ)	الشيخ حسن خالد
٥٩-	نظرات في قصص القرآن (١)	أ. محمد قطب عبدالعال
٦٠-	اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة	د. السيد رزق الطويل
٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين (٢)	د. رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت (١)	أ. أحمد سامي عبد الله

٦٦-	أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة	أ. أحمد عبد الغفور عطار
٦٧-	العدل والتسامح الإسلامي	أ. السيد أحمد المخزنجي
٦٨-	القرآن كتاب أحكمت آياته (٤)	أ. أحمد محمد جمال
٦٩-	الحريات والحقوق في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠-	الإنسان الروح والعقل والنفس	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١-	موقف الجمهوريين من السنة النبوية	د. شوقي بشير
٧٢-	الإسلام وغزو الفضاء	الشيخ محمد سويد
٧٣-	تأملات قرآنية	د. عصمة الدين كركر
٧٤-	الماسونية سرطان الأمم	أ. أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥-	المرأة بين الجاهلية والإسلام	أ. سعد صادق محمد
٧٦-	استخلاف آدم عليه السلام	د. علي محمد نصر
٧٧-	نظرات في قصص القرآن (٢)	أ. محمد قطب عبد العال
٧٨-	لماذا وكيف أسلمت (٢)	أ. أحمد سامي عبد الله
٧٩-	كيف نُدرّس القرآن لأبنائنا	د. سراج محمد وزان
٨٠-	الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ	الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١-	كيف بدأ الخلق	أ. عيسى العرباوي
٨٢-	خطوات على طريق الدعوة	أ. أحمد محمد جمال
٨٣-	المرأة المسلمة بين نظرتين	أ. صالح محمد جمال
٨٤-	المبادئ الاجتماعية في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٨٥-	التأمر الصهيوني الصليبي على الإسلام	د. عاصم حمدان علي
٨٦-	الحقوق المتقابلة بين الزوجين في الشريعة الإسلامية ..	د. عبد الله محمد سعيد
٨٧-	من حديث القرآن عن الإنسان	د. علي محمد حسن العماري
٨٨-	نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة	د. محمد الحسين أبوسم
٨٩-	أسلوب جديد في حرب الإسلام	أ. جهمان عايض الزهراني
٩٠-	القضاء في الإسلام	أ. سليمان محمد الحميضي
٩١-	دولة الباطل في فلسطين	الشيخ محمد سويد
٩٢-	المنظور الإسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل	د. حلمي عبد المنعم صابر
٩٣-	التجهير الصيني في تركستان الشرقية	أ. رحمة الله رحمتي
٩٤-	الفطرة وقيمة العمل في الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
٩٥-	أوصيكم بالشباب خيراً	أ. أحمد محمد جمال
٩٦-	المسلمون في دوائر النسيان	أ. أسماء أبو بكر محمد
٩٧-	من خصائص الإعلام الإسلامي	أ. محمد خير رمضان يوسف
٩٨-	الحرية الاقتصادية في الإسلام	د. محمود محمد بابلي
٩٩-	من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٠٠-	مواقف من سيرة الرسول ﷺ	أ. الأمين الحاج محمد أحمد

أ. عبد الرحمن خليف	اللسان العربي بين الانتشار والانحسار	١٠١-
السيد هاشم عقيل عزوز	أخطار حول الإسلام	١٠٢-
د. عبد الله محمد سعيد	صلاة الجماعة دراسة فقهية مقارنة	١٠٣-
د. اسماعيل سالم عبدالعال	المستشرقون والقرآن	١٠٤-
أ. أنسور الجندي	مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية	١٠٥-
د. شوقي أحمد دنيا	الاقتصاد الإسلامي هو البديل الصالح	١٠٦-
د. عبد المجيد أحمد منصور	توجيه وارشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ	١٠٧-
أ. السيد أحمد المخزنجي	في ظلال سيرة الرسول ﷺ	١٠٨-
د. ياسين الخطيب	المخدرات مضارها على الدين والدنيا	١٠٩-
أ. محمود محمد كمال عبد المطلب	أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١١٠-
د. حياة محمد علي خفاجي	زينة المرأة بين الإباحة والتحریم	١١١-
د. سراج محمد وزان	التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا	١١٢-
أ. عبد رب الرسول سيف	النموذج العصري للجهاد الإسلامي	١١٣-
أ. أحمد محمد جمال	المسلمون حديث ذو شجون	١١٤-
أ. نور الإسلام بن جعفر علي آل فايز	المسلمون في بورما .. التاريخ والتحديات	١١٥-
د. جابر المتولي قميحة	آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم	١١٦-
أ. أحمد بن محمد المهدي	اللباس في الإسلام	١١٧-
أ. ناصر عبد الله العمار	الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم	١١٨-
أ. محمد أبو الليث الخير آبادي	أسس النظام المالي والاقتصادي في القرآن	١١٩-
د. اسماعيل سالم عبدالعال	المستشرقون والقرآن (٢)	١٢٠-
د. محمد سويد	الإسلام هو الحل	١٢١-
أ. محمد قطب عبد العال	نظرات في قصص القرآن (٣)	١٢٢-
د. محمد بهي الدين سالم	من حصاد الفكر الإسلامي	١٢٣-
أ. ساري محمد الزهراني	خواطر إسلامية	١٢٤-
أ. اسماعيل عبد الفتاح عبدالكافي	الإسلام ومكافحة المخدرات	١٢٥-
أ. صالح أبو عراد الشهري	دروس تربوية نبوية	١٢٦-
د. عبد الحلیم عويس	الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	١٢٧-
د. مصطفى عبد الواحد	من سيات الأدب الإسلامي	١٢٨-
أ. أحمد محمد جمال	خطوات على طريق الدعوة (١)	١٢٩-
أ. أحمد محمد جمال	خطوات على طريق الدعوة (٢)	١٣٠-
أ. عبد الباسط عز الدين	المسجد البابري قضية لا تنسى	١٣١-
د. سراج محمد وزان	التدريس في مدرسة النبوة	١٣٢-
أ. ابراهيم اسماعيل	الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديثة	١٣٣-
د. حسن محمد باجودة	تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	١٣٤-
أ. أحمد أبو زيد	منهاج الداعية	١٣٥-

الشيخ. محمد بن ناصر العبودي	١٣٦-	في جنوب الصين
د. شوقي أحمد دينا	١٣٧-	التنمية والبيئة دراسة مقارنة
د. محمود محمد بابلي	١٣٨-	الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل
أ. أنور الجندي	١٣٩-	سقوط الأيديولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ
أ. محمود الشرقاوي	١٤٠-	الطفل في الإسلام
أ. فتحي بن عبدالفضيل بن علي	١٤١-	التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها
د. حياة محمد علي خفاجي	١٤٢-	لمحات من الطب الإسلامي
د. السيد محمد يونس	١٤٣-	الإسلام والمسلمون في ألبانيا
مجموعة من الأساتذة الكُتّاب	١٤٤-	أحمد محمد جمال (رحمه الله)
أ. أحمد أبو زيد	١٤٥-	المهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية
د. حامد أحمد الرفاعي	١٤٦-	الإسلام والنظام العالمي الجديد
أ. محمد قطب عبدالعال	١٤٧-	من جماليات التصوير في القرآن الكريم
أ. زيد بن محمد الرماني	١٤٨-	الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي
أ. جهمان بن عايض الزهراني	١٤٩-	الماسونية والمرأة
أ. اسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي	١٥٠-	جوانب من عظمة الإسلام
د. حسن محمد باجودة	١٥١-	الأسرة المسلمة في ضوء القرآن
د. أحمد موسى الشيشاني	١٥٢-	حرب القوقاز الأولى
أ. زيد بن محمد الرماني	١٥٣-	المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية
د. السيد محمد يونس	١٥٤-	المسلمون في جمهورية الشاشان
		وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي
إعداد مجموعة من الباحثين	١٥٥-	القدس في ضمير العالم الإسلامي
إعداد مجموعة من الباحثين	١٥٦-	الطريق إلى الوحدة الإسلامية
د. جعفر عبدالسلام	١٥٧-	المركز القانوني الدولي لمدينة القدس
د. عبد الرحمن الخوراني	١٥٨-	الحوار النافع بين أصحاب الشرائع
أ. علي راضي أبو زريق	١٥٩-	الإنسان والبيئة
أ. محمود الشرقاوي	١٦٠-	الإسلام وأثره في الثقافة العالمية
أ. عبد الله أحمد خشيم	١٦١-	الموت .. ماذا أعدنا له ؟
د. محمود محمد بابلي	١٦٢-	زواج المسلمة بغير المسلم وحكمة تحريمه
أ. أنور الجندي	١٦٣-	عطاء الإسلام الحضاري
أ. عاطف أبو زيد سليمان علي	١٦٤-	إحياء الأراضي الموات في الإسلام
أ. محمد بن سليمان الأهدل	١٦٥-	أهمية يوم الجمعة وخطب مختارة
أ. خالد الأصـور	١٦٦-	البوسنة والهرسك .. حقائق وأرقام
أ. محمد بن ناصر العبودي	١٦٧-	المسلمون في لاوس وكمبوديا
أ. إبراهيم الدرعاوي	١٦٨-	المشكلات التربوية والدينية عند المسلمين
		في المجتمع الهولندي

١٦٩ -	مفاهيم يجب أن تُصحح	أ. بغداد سيدي محمد أمين
١٧٠ -	السنة النبوية المطهرة	الشيخ محمد علي الصابوني
١٧١ -	نحو مشروع حضاري للإسلام	د. أحمد القديدي
١٧٢ -	الإعلام الإسلامي رسالة وهدف	أ. سمير بن جميل راضي
١٧٣ -	الشرعية والتشريع	أ. فاطمة السيد علي سباك
١٧٤ -	ترجمات معاني القرآن الكريم	د. عبدالله عباس الندوي
١٧٥ -	خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام	أ. زيد بن محمد الرماني
١٧٦ -	الرحمة المهداة محمد رسول الله ﷺ	د. نزار بن عبد الكريم بن سلطان الحمداني
١٧٧ -	المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد الشيباني	أ. عثمان بن جمعة ضميرية
١٧٨ -	التكامل وتقسيم العمل الإقليمي بين الأقطار الإسلامية	د. محمد إبراهيم منصور
١٧٩ -	شقائق الرجال وحل مسألة المرأة في المنهج الإسلامي	أ. حسني شيخ عثمان
١٨٠ -	في غرب الهند	أ. محمد بن ناصر العبودي
١٨١ -	في بلاغة الدعاء النبوي	د. عبد الرزاق محمد محمود فضل
١٨٢ -	الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
١٨٣ -	منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام	د. حلمي عبد المنعم صابر
١٨٤ -	معالم من الفكر التربوي عند علماء المسلمين	أ. د/ أحمد محمد الخراط
١٨٥ -	أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم	د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي حامد
١٨٦ -	التربية في عهد الرسول [نشأتها وتطورها]	سالم عايض الحري
١٨٧ -	الزكاة وتنمية المجتمع	السيد أحمد المخزنجي
١٨٨ -	بلاد التتار والبلغار	محمد بن ناصر العبودي
١٨٩ -	خطبة الجمعة	د. نزار عبد الكريم سلطان الحمداني
١٩٠ -	عداوة الشيطان للإنسان كما جاء في القرآن	د. عبد العزيز بن صالح العبيد
١٩١ -	السفارة والسفراء في الإسلام	د. عثمان بن جمعة ضميرية
١٩٢ -	القدس الشريف حقائق التاريخ وآفاق المستقبل	أ. د. محمد علي حُلّة
١٩٣ -	أعمال الحاج بعد النفر من منى	د. ياسين بن ناصر الخطيب
١٩٤ -	التصريح بإثبات الأنجيل الأربعة	د. عبد الشكور بن محمد أمان العروسي
١٩٥ -	الاعتقاد الصحيح في المسيح تحليل مخاطر الاستشمار في المصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق	محمد نور علي عبدالله
١٩٦ -	المسيح عيسى بن مريم مصدق لما بين يديه في التوراة	د. عبدالله بن عبد العزيز الشيعي
١٩٧ -	من معوقات الدعوة على ضوء الكتاب والسنة «ضعف الإيذان»	د. عبد المهيمن عبد السلام طحان
١٩٨ -	معالم العلاقات الإنسانية في الإسلام	د. أحمد عبد الرحيم السايح

- ١٩٩- لمحات في سورة الأحزاب أ. د. حسن بن محمد باجودة
- ٢٠٠- جوانب التعارض بين عنصر الأئوثة في المرأة د. عدنان بن حسن باحارث
- ٢٠١- منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة د. منظور بن محمد رمضان
البعث بعد الموت «تفسير موضوعي».
- ٢٠٢- تفسير القرآن الكريم مصادره واتجاهاته د. عبدالله بن الزبير بن عبدالرحمن
- ٢٠٣- الإسلام وعولمة الرأسمالية. د. عبدالخفيظ بن عبدالرحيم محجوب
- ٢٠٤- قصة أصحاب الجنة وقيمة النية في الشريعة الإسلامية د. ياسين بن ناصر الخطيب
- ٢٠٥- دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٠٦- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء (في ضوء الكتاب والسنة) د. الشريف حاتم بن عارف العوني
- ٢٠٧- المحو والإثبات في المقادير د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٠٨- الطريق إلى نجاة الأولاد د. عبدالله إبراهيم اللحيان
- ٢٠٩- الإسلام وتهمة الإرهاب د. حسن عزوزي
- ٢١٠- رؤى تربوية تطويرية لمنهج الدعوة الإسلامية د. حسن بن عايل أحمد يحيى
- د. مسعود بن محمد القحطاني
- ٢١١- البلد الحرام - فضائل وأحكام د. ضياء الدين محمد مطاوع
إعداد كلية الدعوة وأصول الدين -
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
- ٢١٢- الوجود الإسلامي في أمريكا- الواقع والأمل د. عثمان أبوزيد عثمان
- ٢١٣- مقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً د. محمد بكر إسماعيل حبيب
- ٢١٤- الصحة والصحابة رضوان الله عليهم «رسالة أ. د. أحمد علي الإمام
تأصيلية في تحقيق عدالة الصحابة وذكر فضائلهم»
- ٢١٥- آثار العولمة على عقيدة الشباب د. عبدالقادر بن محمد عطا صوفي
- ٢١٦- المزاح في الإسلام د. حسن عبدالغني أبوغدة
- ٢١٧- أصول المخالفين لأهل السنة في الإيمان د. عبدالله بن محمد القرني
- دراسة تحليلية نقدية -
- ٢١٨- دلائل الإسلام أ. د. أحمد بن سعد الحمدان
- ٢١٩- الخواف الإسلامي بين الحقيقة والتضليل د. عطية فتحى الويشي
- ٢٢٠- دلالة المثلثات على التوحيد د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٢١- الفتنة، معناها، والحكمة منها، في ضوء الكتاب والسنة. د. إبراهيم بن عبدالله الدويش
- ٢٢٢- المنهج التربوي النبوي في معالجة مواقف من أخطاء أ. أحمد بن إسماعيل كتبي
أفراد في المجتمع المدني من خلال كتاب (السيرة
النبوية) لابن هشام المتوفى عام ٢١٨هـ.
- ٢٢٣- مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة د. السيد رزق الحجر
القرآنية والاستدلال الكلامي.

- ٢٢٤- الحضارة الإسلامية وسطيتهما أ. السيد أحمد المخزنجي وموقفها من الآخر.
- ٢٢٥- الشيخوخة وكيفية تعامل الإسلام مع متغيراتها د. عبدالله بن ناصر السدحان
- ٢٢٦- العلاقات الثقافية الفكرية بين العالمين الإسلامي د. مفرح بن سليمان بن عبدالله القوسي والعربي في العصر الحاضر - الحواجز والجسور - .
- ٢٢٧- التنصير في أفريقيا د. عبدالرزاق عبدالمجيد أالارو
- ٢٢٨- أثر الإيوان في بناء الحضارة الإنسانية د. أحمد معاذ علوان حقي
- ٢٢٩- التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية د. حسن عزوزي
- ٢٣٠- فلسفة الحرية الدينية - نظرة عقدية د. لطف الله خوجة
- ٢٣١- البناء التربوي للمجتمع المسلم الفعال د. هاشم بن السيد علي الأهدل
- ٢٣٢- ميثاق الإيمان د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٣٣- مقدمة في مصطلحات الفقهاء عن د. محمد ظاهر أسدالله المكي
- ٢٣٤- الأحكام الشرعية وأئمة مذاهبهم الأربعة، أصولهم الاجتهادية مدوناتهم الفقهية ومصطلحاتهم المذهبية. قضايا المسلمين في القصص الإسلامي المعاصر أ. يحيى حاج يحيى
- ٢٣٥- «نصر الله امرء اسمع مقالتي ...» د. عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالمحسن التركي «دراسة عقدية»
- ٢٣٦- السعادة والحياة «رؤية تربوية لمفهوم السعادة أ. عبدالكريم بن عوض اللبيني وأسبابها في حياة المسلم المعاصر» السلمي
- ٢٣٧- الرفق في السنة د. حسن محمد عبده جي
- ٢٣٨- الدين المعاملة د. منقذ بن محمود السقار
- ٢٣٩- التجديد في عرض السيرة النبوية، مقاصده وضوابطه د. محمد يسري
- ٢٤٠- ضوابط تشغيل النساء د. عدنان حسن باحارث
- ٢٤١- الأثر التعليمي لفن الرجز د. حسن محمد حسن محجوب
- ٢٤٢- أخلاقيات العمل (ضرورة تنمية ومصلحة شرعية) د. سعيد بن ناصر الغامدي
- ٢٤٣- النزاعات الأهلية في أفريقيا قراءة في الموروث د. آدم بمبمب السلمي الإسلامي.
- ٢٤٤- القراءة التجزئية للنصوص الشرعية د. سعد بن علي الشهراني وأثرها في افتراق المسلمين.
- ٢٤٥- المحكمات صام أمن الأمة وأساس الثبات د. الشريف حاتم بن عارف العوني
- ٢٤٦- مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن د. عبدالله بن عمر الدميحي عبدالوهاب الإصلاحية.
- ٢٤٧- العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم، المنهج د. عثمان جمعة ضميرية والأركان والخصائص.
- ٢٤٨- حادثة الإفك ودلالاتها الفقهية والأصولية د. هاني أحمد عبدالرحمن عبدالشكور



كتاب شهري محكَّم يصدر
عن الإدارة العامة للإعلام والثقافة
برابطة العالم الإسلامي

المشرف العام
أ.د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

المدير العام للإعلام والثقافة
د. حسن بن علي الأهدل

مدير الثقافة والنشر
عبدالله بن علي النمري

مدير التحرير
د. موفق بن عبدالله العوض

الإخراج والتصميم الفني
حاتم مبارك حميدة

عنوان المراسلة

ص.ب: ٥٣٧ مكة المكرمة
الإدارة العامة للإعلام والثقافة

موقع الرابطة والبريد الإلكتروني:

www.themwl.org
dawatulhaqq@themwl.org

هذا الكتاب لا يعبر بالضرورة عن رأي الرابطة

ضوابط النشر في سلسلة دعوة الحق

- ١- أن يقدم البحث خدمة للدعوة الإسلامية ويعالج جانباً من مستجدات الأمة وقضاياها.
- ٢- ألا يكون قد سبق نشره أو قدّم للنشر لأيّ جهة أخرى.
- ٣- أن يتصف البحث بالأصالة والابتكار والجدة والمنهجية العلمية وصحة اللغة وسلامة الأسلوب.
- ٤- أن يكون البحث موضوعياً لا يستهدف به تجريح الهيئات والشخصيات.
- ٥- ألا يقل البحث عن مائة وعشرين صفحة ولا يزيد على مائتي صفحة من صفحات السلسلة.
- ٦- يخضع البحث المقدم للتحكيم العلمي.
- ٧- أن يرفق المؤلف سيرته الذاتية وقائمة بأهم مؤلفاته.
- ٨- لا تعيد الرابطة البحث للمؤلف.
- ٩- يفضل أن يكون تنسيق البحث على النحو التالي:
(أ) مقاس الصفحات ٢١×١٤ سم.
(ب) الهوامش: أعلى، أسفل، يمين، يسار (٢) سم.
(ج) الخط لوتس لينوتيب أو مهند، حجم (١٦) عادي.
(د) العناوين الرئيسة حجم (٢٠) أسود.
(هـ) مع إرفاق البحث على قرص ممغنط (CD).
والله ولي التوفيق.



يمكن الاطلاع على ما صدر عن السلسلة من خلال
موقع الرابطة :

www.themwl.org

بريد المراسلة : dawatulhaq@themwl.org

هذا الكتاب

من أهم أحداث السيرة المطهرة التي كان لها أثر كبير في حياة النبي ﷺ بخصوصه وحياة المجتمع المسلم في ذلك الوقت بعمومه حادثة الإفك التي تعد من أعظم الابتلاءات التي ابتلي بها النبي ﷺ على مر تاريخ دعوته بل عدها بعض الباحثين أعظم الابتلاءات والمصائب التي مرت بالجانب النبوي عليه الصلاة والسلام.

ومن درس الحادثة وعاش أحداثها بنفسه وقلب وعقل أشخاصها لم يستبعد القول بذلك والجزم به.

وهذه الحادثة رغم أهميتها وخطورتها في الوقت نفسه لم تلق ذلك الجانب الدراسي من قبل الباحثين في مجال السيرة كغيرها من الأحداث، حيث انصب أكثر جهود الباحثين إما في الكتابة بشكل عام في السيرة أو في غزوات النبي ﷺ، وكم نحن بحاجة اليوم إلى تلك الدراسات المفصلة المتأنيّة التي تتناول الأحداث التي مرت بها حياة النبي ﷺ واستخراج الكنوز العظيمة التي حوتها وانطوت عليها.